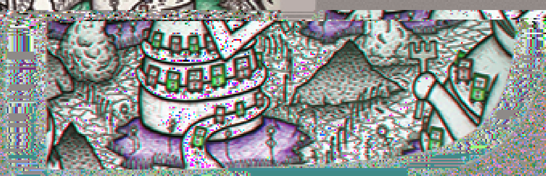
حراس الشريعة

مجلة إسلامية شهرية

العدد السادس- شوال ١٤٣٤هـ

محتويات العدد



المدونة: http://alhorras.wordpress.com
فيسبوك: facebook.com/AlHorras
تويتر: twitter.com/ALHorras
البريد الأليكتروني: horras.sh@gmail.com



العمامة إلى أين ؟!

بقلم: يسرا جلال



أضيئت المصابيح في دفترخانة القلعة، واستلم كل طالب الكتاب الذي عليه أن يترجمه.

فرمان الباشا واضح؛ لن يغادر أحد من المبتَعثين القلعة قبل أن ينهي ترجمة الكتاب الذي بين يديه.

انبرى الطلبة في الترجمة، فستة أعوامٍ كاملة في فرنسا لن تشفع لهم في الالتحاق بالعمل الأميري ما لم ينجزوا ترجمة ما طلب إليهم.



أغمض (رفاعة) عينيه قبل أن يبدأ في ترجمة الكتاب، ثلاثون عامًا هي عدد سني عمره مرت أمام عينيه..

هنيئًا لك يا (رفاعة) رضى الباشا، عزيمتك القوية ومثابرتك أوصلتك للقلعة، منذ حفظت القرآن الكريم وتعلمت علوم الشريعة بين جبال الصعيد المظلمة وأنت..

لا يا (رفاعة) لا، انسَ طهطا تمامًا، افتح عينيك سريعًا لترى حرس الباشا يتولون حراستك..

تبًا لأيام الفقر والخصاصة، لقد أضاءت باريس حياتك، وسرى نورها بين أضلعك، لم تعد هناك حاجة لتتذكر تلك الأيام البائسة.

فتح (رفاعة) عينيه سريعًا، وتبخرت من أمام ناظريه صورة الصعيد المظلمة ليثبتهما على غلاف الكتاب..

كبيييير جدًا ! لا بأس، اعتدت هذا..
والله المستعان.



أحتاج فقط أن أضبط عمامتي..

عمامتي..

تسع سنوات كاملة قضيتها بين أروقة الأزهر وأعمدته.. أزقة قذرة.. الحواري متهدمة خرَّبها الفرنساوية. انظر كم عاماً مرت منذ حملة الفرنساوية ولا زال الدمار والخراب عنوان بيوت الأزهر..

لا أظن أن الباشا تركها مهدمة، الباشا يريد مصر قطعة من أوروبا، ست سنوات قضيتها في باريس كفيلة بأن يصلح الباشا ما أفسده الفرنسيس.. الفرنسيييييس.. يالرقتهم وعذوبة كلامهم.



أواه يا باريس!

ما أبهى حدائقك وميادينك، لن أنسى حين اصطحبني المسيو (جومار) إلى المرقص، زينة باهرة، وروائح عطرة، حتى الرقص وحركاته في نظام تام..

«فالرقص في باريس دائمًا غير خارج عن قوانين الحياء، بخلاف الرقص في أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء؛ لأنه لتهييج الشهوات، أما في باريس فإنه لا يُشم منه رائحة العهر أبدًا! وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية، وهكذا، وسواء أكان يعرفها أو لا، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن».

لا مفر، سأستجيب بأمر الله لنصيحة المسيو (جومار)..

فلا نجاة لمصر الغالية إلا بمحاكاة النهضة الفرنساوية

ولن يكون هذا إلا بنشر اللغة الفرنسية ليتمكن المصريون من نقل علوم فرنسا إلى العربية.

نحن في حاجة إذن إلى مدرسة تُدرّس فيها الآداب واللغات وعلوم التاريخ والجغرافية والشرائع والقوانين الفرنسية والأوروباوية، ويبدو أنه لا مناص من استقدام معلمين أجانب، وسأنتقي طلبتها بنفسي ممن تبدو عليهم مخايل النباهة، والذكاء، وسعة الأفق.

سأختار صغار الطلبة فقط ليكون ما سيتعلمونه نقشًا على القلوب والعقول..

لم أبدأ بعد في الترجمة، يبدو أن الكتاب الذي عُهد إليَّ بترجمته كتاب في...

الشرائع والقوانين..

لقد علم الفرنساوية «أن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد»؛ ولذلك فقانونهم المرضيّ عندهم «فيه أمور لا ينكر ذوو العقول أنها من باب العدل، وإن كان غالب ما فيه ليس من كتاب اللّه تعالى ولا من سنة رسوله».

العمامة..

العمامة سقطت ثانيةً على عيني، أخلعها قليلاً لأرتاح من ثقلها كي أتمكن من الترجمة، نعم، هكذا أفضل.

أتذكر يا (رفاعة) ذلك اليوم الذي سقطت فيه العمامة عن رأسك فزعةً من أصوات المدافع التي أطلقها (بوليناق) رئيس وزراء الفرنساوية؟





علمتُ بعدها أنها مدافع الفرح والسرور، بعد أن شاهدت مواكب الاحتفال و(بوليناق) يمشي مزهوًا معجبًا، بعد أن انتصرت الفرنساوية على بلاد الجزائر.

ليلتها «دخل الملك القديم الكنيسة يشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك»، وقال له المطران مهنئًا:

«نحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية».

عجبًا لكلامه هذا! كيف اعتبر المطران الفرنساوي انتصارهم على بلاد الجزائر نصرًا للملة المسيحية رغم أن..

«الحرب بين الفرنساوية وأهالي الجزائر إنما هي مجرد أمور سياسية ومشاحنات تجارية، منشأها الكبر والتعاظم؟».

الترجمة.. الترجمة.. هل سأظل حبيس ذكرياتي؟!

اعتدل (رفاعة الطهطاوي) في جلسته، وأمسك بقلمه منهمكًا في الترجمة، مقلبًا صفحات الكتاب الذي بين يديه..



«يا أخي العزيز...

لم تعد الجبة والقفطان والعمامة تليق بأخيك، انظر مذ كم سنةٍ هجرت الأزهر، كنت أحس بالغربة بين أصدقائي المطربشين في الجامعة الأهلية التي حصلت منها على العالِمية، وإن كان الجميع هناك يحترمون هذا الزي ويقدرون صاحبه، إلا أنه سيبدو غريبًا وشاذًا في (مونبيليه)..

لا.. لا.. ليس من الحكمة أن أدخل فرنسا بجبة وعمامة».



رفع (طه حسين) يديه إلى عمامته، رفعها عن رأسه، ثم مد ذراعه طويلاً كلاعب كرة ماهر، وألقى بالعمامة بعيدًا في البحر.. لتبتلعها الأمواج..

مائة عام كانت كفيلة بتغيير شكل العمامة.. ثم رفعها عن الرؤوس..

وإلقائها في البحر.

انتهى







نقد بعض المقولات السياسية الفاسدة

بقلم: البشير عصام

بســـم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. أما بعــد:

فقد فشت في الأمة مقولات سياسية أطلقتها نخبة إسلامية منذ مدة في سياق معين، ثم وجدت طريقها بفعل الإعلام الغامر إلى أذهان عموم المشتغلين بفقه الواقع من أبناء الحركة الإسلامية، وانتشرت في الخطاب الإسلامي العام انتشار النار في الهشيم.

وهذه المقولات - في أصلها - اجتهاد من قائلها، يرجى له في ذلك الثواب، إن كان من أهل الاجتهاد، وأخلص في اجتهاده النية، وقصد النصح للأمة. ولأنها اجتهادية، فإنها قابلة للنقد والمراجعة، متى ظهرت مخالفتها للشرع، أو فقدت نجاعتها في الواقع، أو اجتمع فيها الأمران! ويكون الإصرارُ عليها بعد تبين ذلك - بدعوى أن القائل بها من أئمة العلم وأهل التخصص - ضربًا من الانتحار الفكري والفشل الواقعي.

وقد ارتأيت أن أنتقي في مقالي هذا من هذه المقولات أربعةً، هي من أكثرها انتشارًا، وأشدها فسادًا - في نظري، لأبين فسادها بالاختصار اللائق بالمقام.

المقولة الأولى:

« إذا خلّي بين الناس اليوم وبين الإسلام.. فإنهم لا يختارون إلا الإسلام ليحكمهم »

هكذا قال كثير من المنظرين للمشاركة السياسية الديمقراطية، في جواب من يطرح عليهم السؤال البدهي المشروع:

الديمقراطية تعني حكم الشعب، فماذا لو اختار الشعب نظامًا غير إسلامي؟ وماذا لو اختار نواب الشعب تحليل ما حرمه الله، أو تحريم ما أحله الله؟

ويكون الجواب حينئذ: هذا افتراض بعيد أو محال، لأن أغلبية الشعوب الإسلامية إذا رفع عنها حكم الإكراه، ولم تُزوّر إرادتها السياسية، سوف ترضى بحكم اللّه، وتذعن لسيادة الشريعة على القوانين.

::: وهذه المقولة فاسدة في الواقع، فوق فسادها في ميزان الشرع:::

والكلام هنـــــا...

عن الإسلاميين الذين يرفعون شعار الإسلام، مخلوطًا بما لا يحصى من الشعارات الجاهلية المناقضة لحقيقته، أو قل: أصحاب العلمانية المتدثرة باسم الإسلام! أما الذين يريدون تحكيم الشرع الحنيف كاملاً غير منقوص، صافيًا غير مخلوط، فإن النظام الديمقراطي يلفظهم ابتداء !



فأما فسادها في الشرع:

فإن مجرد الرضا بجعل حكم الشريعة خاضعًا للاختيار البشري الحر، كفرٌ مبين. إذ شرع اللّه سائد لا مسود، وحاكم لا محكوم؛ ولا يكون المسلم مسلمًا حتى يذعن للشرع المنزل على أفضل الرسل صلى اللّه عليه وسلم: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

وأما فسادها في الواقع:

فقد دلت التجارب الحديثة في الذي يسمى إعلاميًّا بـ"الربيع العربي"، على أن الإسلاميين لا يحصلون بالضرورة على أغلبية مطلقة، بل إن فازوا بالأغلبية كان ذلك بهامش ضئيل، يحوجهم إلى مسلسل مقيت من التحالفات والتنازلات.

إن هذه التجارب المحبطة..

تجعل القوم محتاجين إلى مراجعة فكرية شاملة، لكثير من الأسس التي بنوا عليها منهجهم في المشاركة الديمقراطية.

صحيح أن الأصل في المسلم أن يقبل حكم الإسلام، ولكن لا يمكن إغفال الانحرافات الخطيرة التي صار أغلب عوام المسلمين يستبطنونها، لأسباب مختلفة تدور على أصلين جامعين:

- **أبواق التحريف، التي تنشر الشبهات، وتُحرِّف الفِطَر. ويدخل في هذه الأبواق: الإعلام الحاقد، والسياسيون، والفنانون، ومشايخ السوء، ... وغيرهم.**
- **مؤسسات اللذة، التي تزين الشهوات المحرمة، وتُعلي شأنها في ترتيب الانشغال الإنساني، حتى يصبح المقبل عليها حريصًا على استمرارها، حرصَ المتدين على بقاء دينه!**

وهكذا صار ضحايا الشبهة والشهوة، بعد عقود من التحريف والتنميط، غير مستعدين لحكم الشرع، مع انتسابهم الظاهري للإسلام!

وهذا يقتضي من دعاة الحق جهدًا جبارًا في تحقيق البناء التربوي العلمي الشامل، لمدة زمنية كافية، لتصحيح الانحراف الفكري، وتحصيل المناعة ضد الشهوات الماحقة.

وإذا عُلم أن هذا البناء لا يكون إلا مع وجود معاول الهدم الدائبة، عُلمت صعوبة العمل، وبالتالي فساد المقولة على أرض الواقع في العقود القليلة المقبلة، على الأقل.

المقولة الثانية:

« توسيع قاعدة مقاومة الطغيان تقتضي الالتزام الظاهر بأصول الخصم.. والتخلي عن المرجعية الأصلية إلى حين »

يشعر كثير من الإسلاميين بعقدة النقص أمام طغيان الجاهلية العصرية، بجبروتها العسكري والسياسي، وتسلطها الاقتصادي والإعلامي.

وتتضاءل في أذهان هؤلاء معاني اللجوء إلى الله، وصدق التوكل عليه، في هذه المواجهة غير المتكافئة بالمقاييس المادية، كما يفترضون في الواقع الذي يتحركون فيه ثباتاً لا يتغير، ولا يقبل التطور نحو الأفضل.

لهذا كله، يقع هؤلاء في يأس غير معلن، يفضي بهم إلى تقديم بعض التنازلات الفكرية، لتذويب بعض الجليد الحائل بينهم وبين خصومهم، على حد قول القائل: "إذا كنت لا تستطيع جلب الآخر عندك، فاخطُ أنت بعض الخطوات تجاهه".

ومن أخطر هذه التنازلات:

- الدعوة إلى التحالف السياسي مع من يسمونهم - لضرورة تسويغ هذا التحالف - الشرفاء والأحرار والديمقراطيين، وما أشبه هذه الألقاب.
- وأخطر من هذا التحالف.. التنازلُ عن المرجعية العليا التي تحكم حركة الإسلاميين في مستنقع السياسة، والالتزام بأصول الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان - بمعانيها المتقررة عن الغربيين - وذلك بهدف تجميع جبهة عريضة تتحد في مقاومة الظلم الداخلي، والطغيان العالمي.

وكما ذكرت في المقولة الأولى، أقول هنا أيضـًا:

::: إن هــذه المقــولة فاســـدة في الشـــرع والواقـــع معـًـا:::

فأما في الشـــرع:

فالأمـر واضـح جلي لأنه تنـازل عقديّ لغير إكـراه، ثم لأن التحالـف مع أعـداء الديـن مناقض - في الأصل - لما استقر من عقيـدة الـولاء والـبراء.

مع أننا لسنا ننكر وقوع حلف "تكتيكي"، لتحقيق مصلحة دينية معتبرة، لكن على أن يكون ذلـك مـن قبيـل الضـرورة التي تقـدر بقدرهـا، مع الحـرص على حفـظ المرجعيـة العقديـة مـن التحريـف.



وأما من جهة النظر الواقعي:

فالذي رأينـاه مرارًا أن الإسلاميين يتخلون عن مرجعيتهم، ويصر خصومهم السياسيون على مـا عندهــم مـن مرجعيـة فكريـة، بـل مـا يزيدهـم تنــازل الإسلاميــن إلا ثباتـًا على باطلهـم!

ورأينــا أيضـًـا هــؤلاء "الشرفــاء الأحــرار الديمقراطيين" يجعلــون مبــادئ الحريــة والديمقراطية دبر آذانهم، عندما يرون الإسلاميين يخرجون من ضيق المعارضة والاستضعـاف إلى سَعـة الحكـم والتغلـب؛ ولا يمانعــون حينئــذ في تسويــغ حكــم الطغيان، وتقديمه على حكم الإســلام.

وليسـت هـذه نظـرة سوداويـــة مـن وحي الواقـع الأليـم، بل هي حصيلـة تجربـة مريـرة للحركـات الإسلاميـة، في بــلاد مختلفــة.

فحتـامَ التحالـف مع أمثـال هـؤلاء، وإهـدار المرجعيـة الإسلامية الواضحة، لأجـل إرضـاء تـلك النخبـة المتخبطـة في حمـأة النفـاق السيــاسي؟

ومما يَخدع به هؤلاء الإسلاميون أنفسَهم وقواعدَهم الجماهيرية، قولُهم: "هذا تنازل مرحلي لتحقيق مكاسب آنية، سنرجع عنه عند انتفاء سببه". وهو معنى لفظة (إلى حين) الواردة في آخر المقولة موضع البحـث.

والحـق أن التنــازل المرحلي سرعــان مـا يتحول إلى انـحراف دائـم، كما بينت ذلك في مقالي "خطـوات الشيطـان"، فلا أحتـاج لإعادتـه هنــا.

المقولة الثالثة:

« لا بديـــل عـن المشاركــــة البرلمانيــة لتخفيـف الظلـم »



يُسبب ضيقُ العطن، وقلة الاطلاع على حركة التاريخ، وسننِ التغيير، جموداً على بعض الوسائل الموصلة للمراد، وعجزاً عن رؤية غيرها. فيقع للمصاب بذلك ألا يتصور - في مجالات كثيرة - بديلاً عن الوسيلة الشائعة، التي يتداولها أكثر الناس.

فإذا أنكرت عليه هذه الوسيلة، أو تبين له مناقضتها للشرع أو عدم نجاعتها في الواقع، أصرّ عليها، وقال: وما البديل؟

وهذه الحالة المَرضية، تتجلى على الخصوص في قضية المشاركة البرلمانية، فإن المترخصين بها حين يجابَهون بالبراهين الدالة على حرمتها في ميزان الشرع، يقولون: لا بديل عن هذه المشاركة البرلمانية، لأجل تخفيف الظلم، وتقليل مفاسد الطغيان. أم تريدون منا أن نقعد متفرجين، لا نصنع شيئاً؟



وفي هذا الكلام مغالطتان:

الأولى: أن الفعل إذا ثبتت مخالفته للشرع، وجب الانتهاء عنه مطلقًا، أي سواء أعلم وجود بديل عنه، أم لم يعلم ذلك. فليس وجود البديل شرطًا في الكف عن الفعل المحرم!

والثانية: أن هؤلاء النفاة لا دليل لديهم على عدم وجود البديل سوى عدم العلم بوجوده. والحق أن البدائل موجودة، يعلمها من يحرر ذهنه من سطوة هذه المقولة الفاسدة. ولا يتسع المقام لبسط ذلك.





المقولة الرابعة:

« ما خرج شخص على حكم قائم، إلا انتهى الأمر بفشله وسفك دمه، مع إحداث فتنة عظيمة »

وهذه المقولة يمكن إدراجها في خانة الأخطاء الشائعة، المبنية على استقراء ناقص جداً! فإن القائلين بها يستحضرون خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما، وخروج زيد بن علي ومحمد النفس الزكية وأمثال هؤلاء، رحمهم الله، من الذين خرجوا على الحكام ففشلت ثوراتهم، ووقعت فتن عمياء.

ولكنهم يغضون الطرف عن ثورات أخرى ناجحة، سواء في التاريخ الإسلامي، أو في تاريخ الأمة عموماً.

فإننا نستطيع أن نقول مطمئنين: ما قامت دولة - في الغالب الأعم - في تاريخ الأمة الطويل، إلا بعد خروجٍ مسلح على حكم قائم.

ومن أمثلة ذلك: ثورة المروانيين على عبدالله بن الزبير رضي الله عنهم، وثورة العباسيين على الأمويين، والأمويين في الأندلس على العباسيين، والأدارسة على العباسيين، والموحدين على المرابطين، وما لا يحصى من أنواع الخروج المسلح الناجح.

ولو شئت أن أحصي الأمثلة لما انتهيت؛ فالتاريخ كله: دول تقوم على أنقاض دول أخرى؛ والدول القائمة كلها تبدأ من دعوة فرد أو مجموعة أفراد، لا يزالون يتقوون حتى تصير لهم شوكة، وقدرة على التغيير. ولذلك نصّ العلماء على وجوب طاعة المتغلب المسلم المحكم للشرع، وهل يكون التغلب إلا بعد ثورة ناجحة؟

أما لو وسعنا دائرة النظر، فأدخلنا الأمم الأخرى، في أزمنة التاريخ الممتدة إلى عصرنا الحديث، فإن الأمر يكون أظهر، وفساد المقولة أوضح.

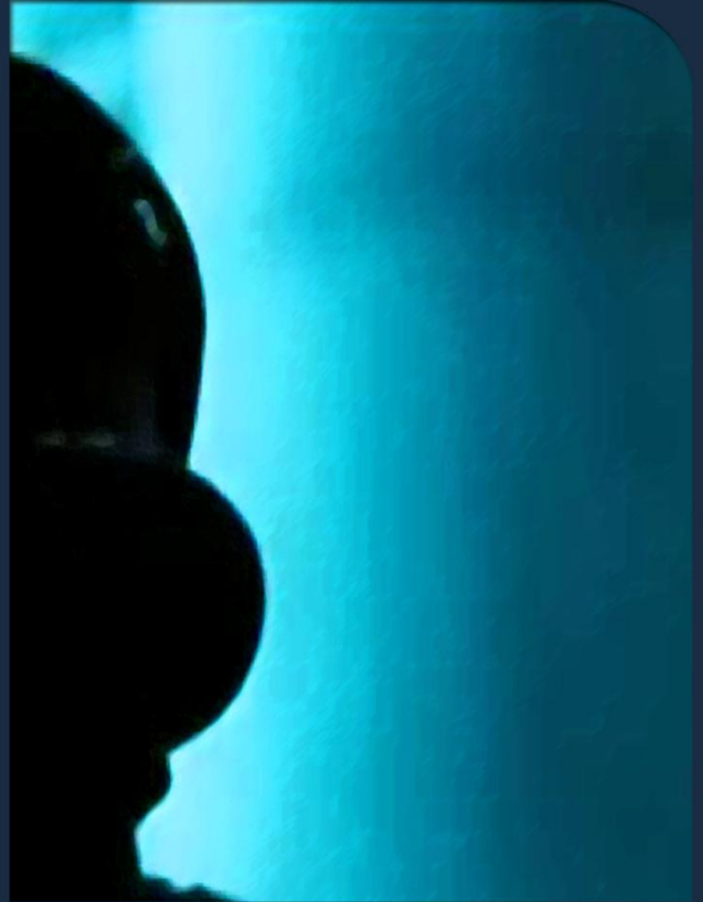
وغني عن الذكر أن البحث هنا إنما هو في الوقوع، لا في الجواز، فإن لتحرير الحكم الشرعي موضعاً آخر.

والحمد لله رب العالمين.

انتهى









الطريق إلى الانقلاب

بقلم: حسام عبدالعزيز



كان الهدف منذ البداية

أن يصل الإخوان إلى السلطة كي يتم سحقهم بتأييد شعبي واستئصال شأفتهم. هكذا تقول أبسط قواعد الاستقراء لعامين ونصف من الأحداث السياسية التي أعقبت ثورة ٢٥ يناير.

في الرابع والعشرين من يناير ٢٠١١م، غادر رئيس الأركان السابق سامي عنان القاهرة على رأس وفد عسكري إلى واشنطن لمناقشة ملف المساعدات الأمريكية وملفات أخرى، بينما كانت قوى وحركات سياسية تتنادى إلى التظاهر بأمل تكرار التجربة التونسية وإزاحة مبارك.

وفي الثامن والعشرين من الشهر نفسه، صرح الجنرال جيمس كارترايت نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش الأمريكي بأن عنان يعتزم العودة إلى مصر، في الوقت الذي أكد البيت الأبيض أن واشنطن قد تعيد النظر في المساعدات العسكرية إلى مصر والتي تبلغ قيمتها ١,٣ مليار دولار سنوياً. بدا حينئذ أن ملف المساعدات هو ورقة الضغط على المؤسسة العسكرية لتحقيق المصالح الأمريكية.

لقد تلاعب العسكر بمصر في هذه الفترة فشكّل لجنة للتعديلات الدستورية، ودعا للاستفتاء عليها، مع الإبقاء على مواد دستور ٧١، ثم أصدر إعلاناً دستورياً دون استفتاء الشعب.

اندلعت أحداث محمد محمود في نوفمبر، واستغل عدد من النشطاء والساسة الحدث في إعلان تشكيل حكومة إنقاذ وطني من ميدان التحرير برئاسة البرادعي، وطالبوا المجلس العسكري تحت ضغط الشارع بإقالة الجنزوري، لكن طنطاوي تعلل وقتئذ للبرادعي بأن الإخوان وضعوا "فيتو" على مجيء البرادعي رئيساً للوزراء (راجع تصريحات البرادعي للحياة اللندنية بتاريخ ١٩ من يونيو).

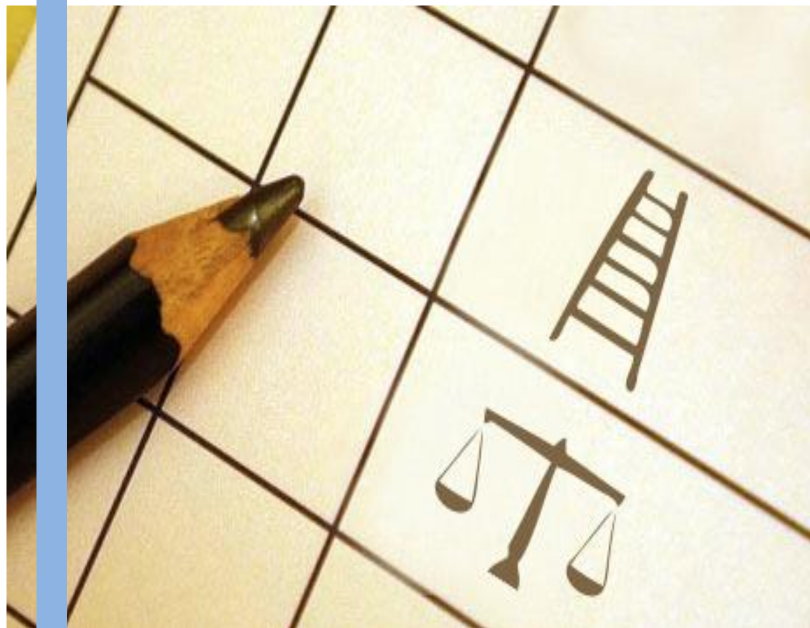
ووسط الدعوات العلمانية بتأجيل الانتخابات البرلمانية كانت استجابة قيادة الجيش واضحة لضغوط الإسلاميين بإجراء الانتخابات البرلمانية في موعدها والتعجيل بالانتخابات الرئاسية.

فأحداث محمد محمود والاعتراضات على وثيقة السلمي أظهرت شعبية الإخوان وحلفائهم السلفيين في الشارع واستحالة الصدام معهم في هذا التوقيت..

فاتُخذ القرار على ما يبدو بالسماح للإسلاميين بالوصول إلى البرلمان لقتلهم شعبيا بل وللرئاسة إذا استلزم الأمر للإجهاز على الإسلاميين لعقود.

أتت الانتخابات البرلمانية بالإسلاميين، وشرع المجلس العسكري في السيطرة على السلطتين التنفيذية والقضائية لتدمير شعبية الإسلاميين في الشارع وإثبات فشل تجربتهم البرلمانية.

كان مسموحًا وربما مطلوبًا أن يصل الإخوان إلى الحكم بما لديهم من مرونة سياسية وبراجماتية بنى عليها العسكر خطتهم. لكن حازم صلاح بنهجه الصدامي وخطواته المفاجئة وشعبيته التي اكتسبها من انتصاره في المناظرات الفضائية كان صداعا يهدد بإفشال هذه الخطة. لذا وجب إقصاء الرجل من السباق الرئاسي وقبل أن يبدأ بقضية جنسية والدة الشيخ.



صحيح أن الإخوان استطاعوا أن يفهموا العسكر وإن داهنوهم سياسيًا، فالدكتور محمد البلتاجي يعلم بوقوف العسكر ضد الثورة عندما أتى اللواء السيسي مدير المخابرات وقتها يفاوض الإخوان من أجل الخروج من الميدان ويخوفهم بأنصار المخلوع القادمين للاعتداء على الثوار فيما عرف بموقعة الجمل. نعم كان الإخوان يفهمون العسكر لكن أبو إسماعيل كان يجهر بكل ما يعرفه عن العسكر.

وكانت موقعة العباسية هي رصاصة الرحمة التي أطلقها العسكر على حازم صلاح فقد استخدم الإعلام هذه الواقعة في تشويه الرجل وأنصاره وتشويه التيار الإسلامي برمته وتبارت القنوات في استضافة مسؤولي حزب النور الذين تبرؤوا من حازم الذي "ليست لديه حسابات واقعية".

كان الإخوان في هذا الوقت أضعف الأطراف، فقد تآكلت شعبيتهم بفعل الأداء البرلماني الضعيف، وسيطرة العسكر على السلطتين التنفيذية والقضائية، والإعلام الذي تعمد إخفاء الإنجازات البرلمانية القليلة التي حققها الإسلاميون. واستغلال مؤامرة مذبحة بورسعيد في إظهار فشل الإسلاميين في القصاص للشهداء.

كاد القضاء أن يعلن فوز شفيق بانتخابات الرئاسة ويريح العسكر من عناء الاستمرار في سيناريو إفشال الإخوان، لكن الأصوات التي حصدها مرشح الإخوان المسلمين محمد مرسي أظهرت أن الخطة الاستخباراتية الفلولية فشلت في سحق شعبية الإخوان وإن أضعفتها جدًا. وزاد الطين بلة أن الإخوان سارعوا بتصوير محاضر اللجان وحساب النتيجة وإعلانها ليضعوا العسكر في مأزق.

كانت الخطة البديلة جاهزة وهي مواصلة سياسة سلطة بلا سلطة، فسارع العسكر إلى إصدار إعلان دستوري مكمل تمهيداً لتقليص سلطات مرسي من قبل إعلان النتيجة بفوزه، وبدا بذلك أن العسكر لم يتخلوا عن خطة الانقلاب على إرادة الشعب، وإنما رأوا تأجيل التنفيذ لأشهر.



يقول المستشار أحمد مكي في حوار منذ أيام إن المشير طنطاوي قال له إننا سلمنا الإخوان للبلد ولم نسلم البلد إلى الإخوان، وأن مرسي فوجئ بأن كل المؤسسات ضده وأبرزها المجلس العسكري الذي اتفق على خروج آمن لطنطاوي وتعيين السيسي وزيراً للدفاع. لم تكن هذه الخطوة سوى تهيئة شعبية للانقلاب بإزاحة الكارت المحترق طنطاوي والذي ارتبط في أذهان الشعب بأحداث ماسبيرو ومحمد محمود وغيرها، وتقديم مدير المخابرات الحربية عبد الفتاح السيسي بديلاً.

في ١٤ أغسطس ٢٠١٢م، ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية أن وزير الدفاع السابق حسين طنطاوي كان قد قدم السيسي لجون برينان - مستشار أوباما لمكافحة الإرهاب خلال زيارته لمصر في أكتوبر ٢٠١١م - باعتباره وزير دفاع مصر القادم. لذا فإن الإطاحة بطنطاوي لم تكن سوى ضغطاً من المجلس العسكري على مرسي مصداقاً لكلام المستشار مكي.

في المقابل، حاول الرئيس الاعتناء بالجبهة الداخلية في حدود الممكن عن طريق ملفات رغيف الخبز والمعاشات والتأمينات وطفق يمد جسور التعاون مع دول خارجية كتركيا ولو كانت بين تلك الدول روسيا وإيران للأسف وذلك بغرض ردع الدول العربية الممولة للانقلاب عليه.

كيف تنظر الولايات المتحدة للسيسي؟

تقول وول ستريت جورنال إن السيسي كان يجري اتصالات مكثفة مع آن باترسون سفيرة الولايات المتحدة في مصر، ونقلت عن مسئولين أمريكيين قولهم إن عبدالفتاح السيسي كانت لديه علاقات وثيقة مع الجيش الأمريكي والمخابرات الأمريكية. وقال مسئول كبير في إدارة أوباما للصحيفة: إن السيسي "هو الشخص الذي عملنا معه لفترة طويلة، والذي أظهر نفسه حريصاً على العمل مع الولايات المتحدة، والذي يقدر قيمة السلام مع جيران مصر".

وأكدت الصحيفة الأمريكية أن مسؤولين في إدارة الرئيس أوباما قالوا إن قائد الجيش الجديد في مصر شخصية معروفة في واشنطن، ولديه علاقات ممتدة مع مسؤولين في إدارة أوباما.

وأضافت الصحيفة أن الاتصالات بين عبدالفتاح السيسي وأمريكا تعود بتاريخها إلى أكثر من ٣٠ عامًا؛ حيث أخذ دورة تدريبية أساسية للمشاة في فورت بيننج بولاية جورجيا عام ١٩٨١م.

في ١٢ أغسطس كتب الكاتب الأمريكي ديفيد إجناتيوس مقالاً بصحيفة واشنطن بوست، قال فيه:

"إن المسئولين الأمريكيين يثقون بالسيسي؛ حيث كان على اتصال وثيق بالولايات المتحدة في منصبه السابق كرئيس للمخابرات العسكرية".

وأضاف إجناتيوس في المقال الذي عنونه بـ "المسئولين الأمريكيين يؤيدون بحذر وزير الدفاع الجديد": أن المسئولين الأمريكيين نفوا الشائعات التي ترددت عن أن السيسي "إسلامي" له اتصالات سرية بجماعة الإخوان، وقالوا إنه على العكس تماماً، وإنه معروف جيدًا بالنسبة للجيش الأمريكي، بعد أن قضى عامًا من التدريب المهني في الولايات المتحدة، وكان يعتبر قيادة فعالة في المخابرات العسكرية.

فور توليه المسئولية، نشرت جريدة الشروق نقلاً عن مصادر عسكرية أن السيسي أطاح بـ ٧٠ لواء بالجيش، أبرزهم:

ممدوح عبدالحق، وإسماعيل عتمان، ومحسن الفنجري، وسامى دياب، وعادل عمارة، ومختار الملا، وأبقى الرجل على اللواءين العصار وصدقي صبحي، الذي ينتظرهما دور كبير في الأحداث مستقبلاً. بدا أن هذه الإجراءات هدفها إزاحة الوجوه المرتبطة سلبيًا بالأذهان.

وعلى غير المتصور، صار الجيش (أو السيسي بالأحرى) يتحكم في الملف الاستخباراتي برمته، وفي ملف سيناء بشكل خاص بعملية وهمية أطلق عليها اسم "نسر"، انتصر فيها الجيش على كثبان الرمل، والتقى السيسي برئيس جهاز تنمية سيناء محمد شوقي في أغسطس، وصدق الأول على مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه مشاركة من القوات المسلحة لتحقيق الأمن والتنمية في سيناء.



والتقت قيادات الجيش الثاني الميداني بتاريخ ٢٣ أغسطس أهالي سيناء لحل أزمة مياه الشرب، ودفع الجيش ٢٠٠ مليون جنيه لإنشاء محطة تحلية للمياه في مطروح؛ ليبدأ السيسي دورًا مدنيا بغرض زيادة شعبيته بمساندة إعلامية، وتخدير المناطق التي قد تثير القلاقل في المستقبل.

في هذه المرحلة صرح وزير الدفاع الأمريكي السابق ليون بانيتا بأن السيسي أكد له



التزامه القوي بالعلاقة العسكرية بين الولايات المتحدة ومصر، وخرج المتحدث باسم البيت الأبيض جاي كارني بتصريح، قال فيه إن السفيرة الأمريكية آن باترسون على اتصال بالسيسي منذ أن كان مديرًا للمخابرات الحربية!

هنا أدرك الرئيس أن الوضع لم يتغير وأن إنهاء حكم العسكر وهم، بل أن العسكر عادوا لأقوى مما كانوا...

فمدير المخابرات الحربية السابق هو الرجل الأقوى في الجيش الآن، وأضحى يلعب كل الأدوار بمساندة إعلامية فلولية، وأن سيناء كانت المفتاح لإعادة العسكر إلى الواجهة بفضل تحركات عميل إسرائيل محمد دحلان في المنطقة، بعد أن حاول مرسي بإعلانه الدستوري إقصاء العسكر عن المشهد.

توحدت الجهود خلف السيسي، الآن الفلول والإعلاميون والعلمانيون ودول عربية مع السيسي يرسمون خطة الإطاحة بمرسي، برضا أمريكي إسرائيلي إلى حد القبول الإسرائيلي بالتواجد العسكري في سيناء، وإن أبدت امتعاضها لإكمال الحبكة الدرامية.

وبدأت حملة صناعة السيسي البطل؛ فأبدى وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك في أكتوبر غضبه من السيسي، بدعوى أن الأخير رفض تحسين العلاقات بين مصر وإسرائيل.

كانت الخطة هي التمهيد داخليًا للحشد المليوني ضد مرسي بأزمات معيشية لإعطاء السيسي ذريعة للتدخل. وتحدد أن هذه الحبائل التي سترمى في درب الرئيس ستمنع استمراره لأكثر من عام على أية حال، وكتب يسري فودة الإعلامي بقناة ساويرس تغريدة في ١٤ نوفمبر قال فيها: "اللهم بلغنا يونيو"! هذا الإعلامي سيتعرض لإصابة في مارس وستنقله طائرة عسكرية من الجونة إلى القاهرة بأمر من السيسي!

وقعت أحداث الاتحادية ونزل شباب الإخوان للدفاع عن القصر والرئيس؛ ليسقط ثمانية قتلى بصفوف الإخوان، وصحفي يدعى الحسيني أبو ضيف.

كان الثامن من ديسمبر هو تاريخ الإعلان عن ظهور الجيش في المشهد بقوة، عندما أصدر السيسي بيانًا أكد فيه أن:

"الحوار هو الطريقة الوحيدة والأفضل للتغلب على الصراع المتعمق في البلاد، وأن أي شيء آخر سوى الحوار سيجبرنا على الدخول في نفق مظلم له عواقب كارثية، وهو ما لم نسمح به".

جيـش مصـر

والعـودة إلى المعتـرك السيـاسي

وعلى الفور قالت وكالة "أسوشيتد برس" الأمريكية عن البيان: إن جيش مصر القوى الذى تم تنحيته جانبًا عن السياسة فى الصيف الماضى بعد قرارات الرئيس محمد مرسى بإقالة كبار قيادته، عاد إلى المعترك السياسى والغليان الذى تشهده البلاد، بسبب التوترات بين القوى العلمانية والحكومة العازمة على تمرير دستور يضمن دورًا أساسيًّا للدين.

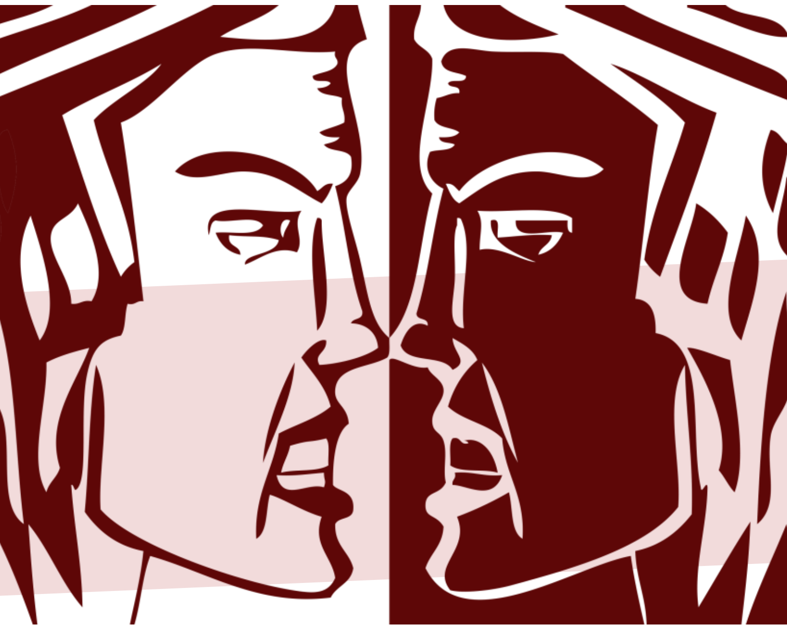
ورأت أسوشيتد برس أن الهدف من بيان القـوات المسلحـة على ما يبدو هو إظهار تنـامي نفـاد صبـر الجيـش إزاء الأزمـة السياسية المتعمقة.

أما الإخوان فأعربت على لسان المتحدث باسمها محمـود غـزلان عن أسفها لعـودة الجيـش إلى المعترك السياسي، وقال غزلان:

"لا نقبـل بتدخـل الجيــش".

في ١١ ديسمبر دعا السيسي على لسان المتحدث العسكري إلى "حوار وطني" مع القوى السياسية، بدعوى الرغبة في حل الأزمة، لكن الرئيس رفض رعاية السيسي لأي حوار مع القوى السياسية باعتباره تدخلاً غير مقبول، ليخرج العصار على الفضائيات مؤكدًا أن الحوار لا يحمل أى صبغة سياسية، وأنه مجرد حوار للعائلة المصرية بعد ما ترك الجيش المصري السياسة قبل خمسة أشهر. في اليوم التالي نقلت وكالة الأنباء الرسمية للدولة "الشرق الأوسط" أنه لن يكون هناك أي حوار وطني أو مجتمعي تجريه القوات المسلحة يوم الأربعاء (كما كان مقررًا)، قائلة إن ما تردد من أنباء حول هذا الحوار غير صحيح. (خبر بعنوان: أخطر ١٨ ساعة مرت بها مصر.. "السيسى" يدعو للحوار مساء ويلغيه ظهر اليوم التالي، اليوم السابع ١٢ ديسمبر).

في يناير التقى السيسي بشيوخ القبائل والعشائر في سيناء لتأمين هذه الجبهة، وفي فبراير بدأت قوى علمانية تحرير توكيلات للسيسي بإدارة شؤون البلاد..



وأكد الدكتور علي زيدان عضو اللجنة العليا للحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي أن جبهة الإنقاذ الوطني مازالت متمسكة بشروطهـا لقبـول حـوار وطني مع مؤسسـة الرئاسـة، وعلى رأس تلـك الشـروط أن يكون الحـوار تحت رعايـة السيسي، وكانت المليونيـة الأولى لدعم الجيـش في الأول من فبراير في محيط النصب التذكاري بمدينة نصر.

في هذه الأثناء نقلت صحيفة "وورلد تريبيون" الأمريكية عن دبلوماسيين قولهم: إنه يُعتقد أن "السيسى" و"صبحي" تم تشجيعهما من قبل الولايات المتحدة التى تقدم للجيش مساعدات سنوية تقدر بـ ١,٣ مليار دولار، وتحدثوا عن سلسلة من المكالمات الهاتفية بين "السيسى" ووزير الدفاع الأمريكى السابق ليون بانيتا ومساعديه.

وفي جلسة بالكونجرس الأمريكي، وقف عضو لجنة التسليح بمجلس الشيوخ الأمريكى، السيناتور «جيمس إنهوف» ليقول بصراحة: "الجيش المصري صديقنا ومرسي عدونا".

تصاعدت نبرة العسكر، وقال رئيس هيئة الأركان الفريق صدقي صبحي:

"إن القوات المسلحة يمكن أن تقوم بدور إذا "تعقدت" الأمور".

وزعم موقع "ستراتفور" الاستخباراتى الأمريكى أن وزير الدفاع عبد الفتاح السيسى قد التقى سرًا مع كل من محمد البرادعى وعمرو موسى عضوي جبهة الإنقاذ الوطنى المعارضة قبل إجراء الحوار الوطنى فى ٣١ يناير. زعم الموقع الاستخباراتي أنه لا يعرف تفاصيل اللقاء، لكن اليوم السابع نقلت عن مصدر عسكري لم تسمه أن الخبر عارٍ عن الصحة.

في هذه الفترة بدأ أهالي سيناء يشعرون بالقلق بسبب قرار السيسي حظر تملك الأراضي المتاخمة للحدود، وقالوا إن قرار السيسي يخالف توجيهات الرئيس مرسي في ٥ أكتوبر بالعريش، لكن السيسي سارع إلى طمأنتهم.

توالت الاتصالات الأمريكية فالتقى وزير الخارجية الأمريكي جون كيري بـ "السيسي" في مارس بمقر وزارة الدفاع وبالرئيس، وأجرى السيناتور روبرت كاسي عضو لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكي لقاءً آخر بالسيسي.



انطلقت في الشهر نفسه مسيرة بالعشرات إلى "المنطقة الشمالية العسكرية" للمطالبة بعودة الجيش إلى إدارة البلاد، وصرح مصدر عسكري أن "السيسي" أمر بتشكيل لجنة لفحص مضبوطات أقمشة زي الجيش التي استوردتها إحدى شركات ملابس الأطفال، وروجت وسائل إعلام أن الإخوان سيستخدمونها لأعمال عنف وسيلصقونها بالجيش.

بدأ العد التنازلي قبل شهرين من الانقلاب: سد النهضة، مشكلتا الكهرباء والسولار، تمثيلية اختطاف الجنود التي انتهت بتحريرهم دون قتل الخاطفين أو القبض عليهم، رغم ادعاء الجيش محاصرة الخاطفين. كانت تمثيلية لتقديم السيسي جنرالاً مخلِّصًا منقذًا.

التقى السيسي بالفنانين وبدأ تقديم سلسلة من التصريحات الممهدة للانقلاب، إلى حد وصف الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل إياه بالممثل العاطفي، وهو ما استدعى هجومًا إعلاميًّا على الرجل بسلسلة من المقالات والبلاغات.

وأشارت الصحيفة إلى اعتراف المتحدث العسكري أحمد علي بعملية تعارف بشخصيات لم يكن للجيش من قبل تعاملاً كبيرا معها. وهو الادعاء الذي لم ينفِه وزير الخارجية في حكومة الانقلاب في حوار مع مذيع بي بي سي ألان ليتل بتاريخ ٦ أغسطس ٢٠١٣م.



قبل ثلاثة أيام من الانقلاب، أبدى رئيس حزب النور يونس مخيون مرونة كبيرة حيال الانقلاب بتصريحات لوكالة رويترز قال فيها:

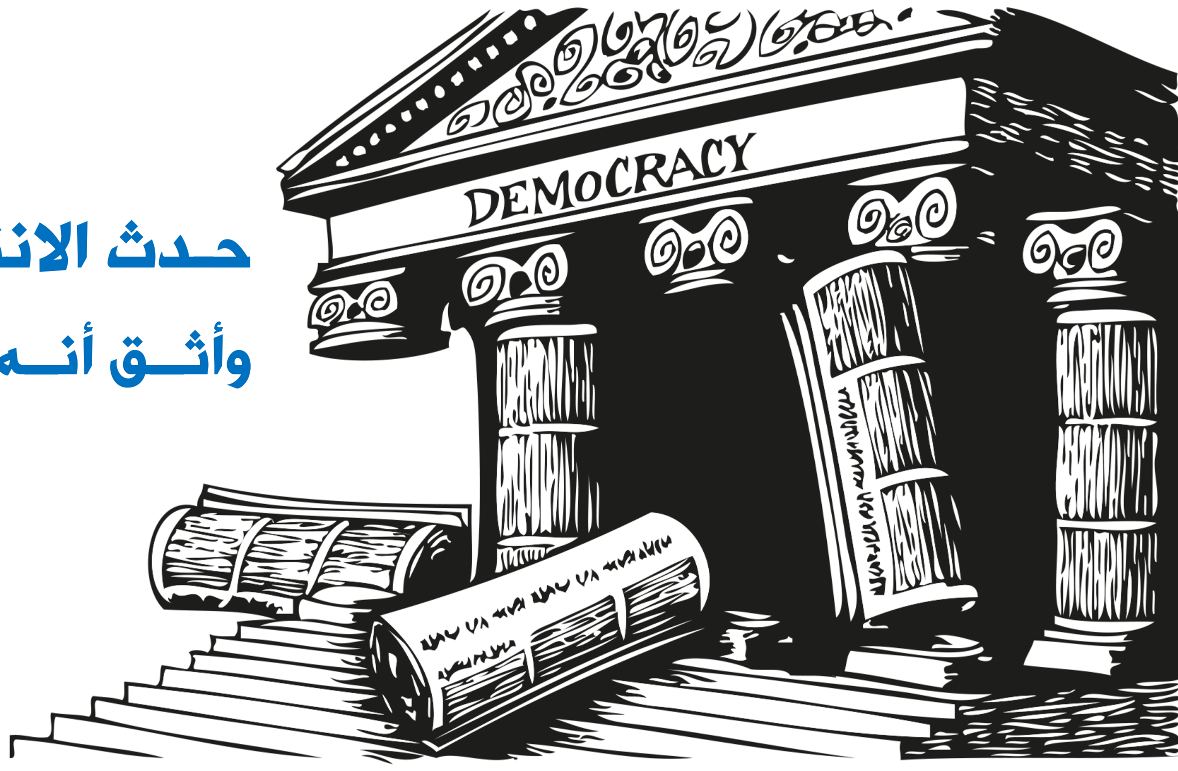
"لو وصلنا إلى مرحلة هل إحنا مع حرب أهلية ولاَّ الجيش فشيء طبيعي هنقول الجيش".

وبحسب صحيفة وول ستريت جورنال نقلاً عن مقربين لجبهة الإنقاذ، فإن الاجتماعات بين القادة العسكريين وقادة المعارضة ازدادت مع اقتراب الإطاحة بمرسي، وضمت هذه الاجتماعات معاونين للدكتور البرادعي وعمرو موسى وحمدين صباحي.

حدث الانقلاب ولا تزال الولايات المتحدة ترفض وصفه بالانقلاب؛ كي لا تتوقف المساعدات العسكرية المقدمة للسيسي وغيره من القيادات الموالية لواشنطن.

وأضافت الصحيفة أن بعض هذه الاجتماعات جرى في نادي ضباط البحرية، حيث أخبر قادة الجيش المعارضة بأنه إذا كانت التظاهرات كافية فإن الجيش لن يكون أمامه خيار سوى التدخل، وستسير الأمور بالضبط كما سارت مع مبارك.





حدث الانقلاب وأثق أنه سيفشل..

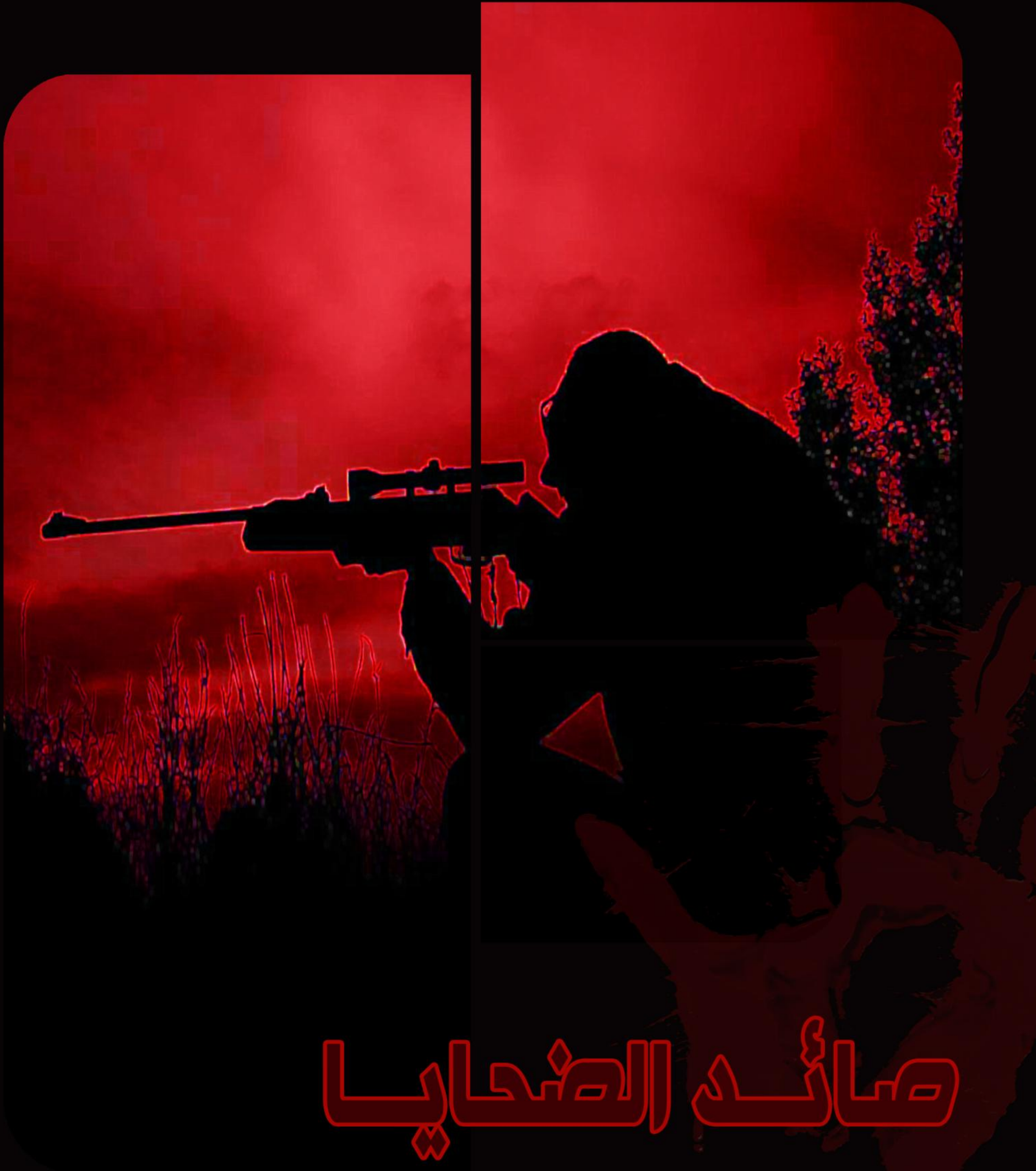
لكنه سيكون درسًا للجميع؛ كي نتوب جميعًا من احترام الديمقراطية والقوانين الوضعية التي لا يستحي الآخرون من الانقلاب عليها عند الحاجة.

كي نتوب جميعًا من سياسة الاحتواء التي انتهجها الإسلاميون، وتسببت في تمييز العسكر في الدستور واستمرار انخراطهم في الحياة المدنية، إلى حد إنشاء الطرق والكباري ومحطات تحلية المياه!

يقول روبرت فيسك في مقاله بصحيفة إندبندنت بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠١٣م:

"إن زيارة نائب وزير الخارجية الأمريكي ويليام برنز الأخيرة لمصر، تشير إلى أن واشنطن تفضل الجنرالات على الديمقراطيين في الأماكن الملتهبة".

انتهى ■



صائد الضحايا

بقلم: محمود توفيق



يجلس صائد الضحايـا.. منـذ أول المســاء الذي يبدو بغير نهاية، خلف عربتين مركونتين، في إحدى النواصي المضطربة المطلة على جبهة صراع ثوري بين فريقين من المصرييــن.



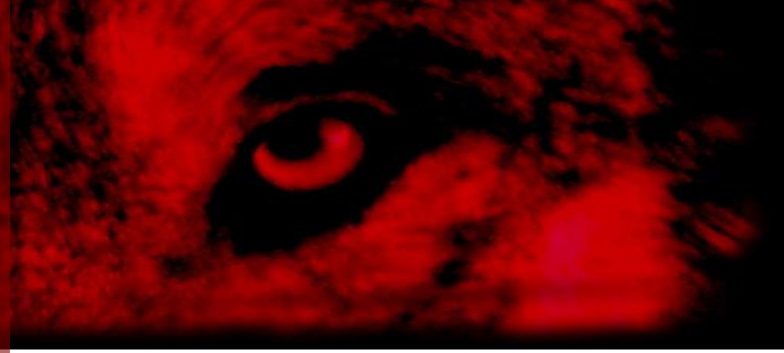
يتابع بعينيه مستغربًا هذا الاشتباك المحموم السريع الذي تجدد فجأة، يندهش من شعورهم السريِّ بالفصيلة، وغريزتهم البدائية المتوقدة التي تساعدهم على التفرقة بين من لهم ومن عليهم بغير أي علامة مميزة.

بل وفي قلب العتمة نفسها يشمون الولاءات التي بين الجوانح؛ وها هي سرايا منهم تلتقي في الطرقات الجانبية وتمزق بصراخها حشمة الشوارع المنزوية، ولا يصيب أحدهم أخاه أبدًا، فيرفع حاجبيه الممسوحين متعجبًا.

تتحيَّز السرايا المتفرقة إلى بعضها بعضًا، بنداء الغرائز القديمة التي اكتشفها المصريون في أنفسهم في الأيام الشديدة، الأيام الشديدة التي فضَّت ذخائرهم المرعبة التي تحرسها اللعنات، يتباعد الفريقان الآن مسافةً يحرسونها بالتهديد والعواء الذئبي، كوحوش منهكة تحارب بأحقادها الفطرية على مناطق النفوذ.

يجلس صائد الضحايا تحت النوافذ المغلقة، وتحت الغمامات المارَّة من دخان القنابل المسيلة للدموع التي بعثرها الهواء.

عيناه الجاحظتان حمراوان من طول السهر، ومن وهج الليزر الأخضر المعربد في الفضاء، هذا الوهج الذي جعله يشك مع الأثر الجامح لنصف حبة هلوسة أخذها على سبيل التجربة، بأنه موضوع في اسطوانة من اسطوانات ألعاب التصويب، كتلك الاسطوانات التي ينهمك الصبية معها في ظلام صالة اللعب المتواضعة في مدخل حيهم الفقير بأفواههم الفاغرة، وأعينهم اللامعة الصغيرة.

كان احتمالاً شديد الإغراء بالنسبة له، أن يكون مرسومًا لا مخلوقًا، كائنًا خفيفًا بأكثر من سبع أرواح، يتعرض للقتل، فيقبل الأمر بصبرٍ جميل؛ فحياته تتجدد مع فرصة تشغيل تالية، ليبدأ من الصفر بكامل لياقته وتفاؤله، في دنيا قائمة على الملابسات والفرص، والأساليب والتركيز، ولا معنى للحق والباطل والعيب والأخلاق فيها بأي وجه.

وعندما يتلف القرص المضغوط في آخر الأمر، تنعدم الشخصية، وكل من كانوا معها، وكل من كانوا ضدها، بغير حساب، تذهب سدى ، وينتهي الأمر.

عيناه حمراوان كذلك من وحشية الأمل، الأمل الذي يملأ نفسه في أجواء الليل الفوضوي المهتك لباسه، وينفخ فيه إيقاع الطلقات السارحة التي يدبدب صوتها المتقطع البعيد في أذنيه كنبضات مسترخية، بعد فترة من ضجيج الخرطوش وقنابل المولوتوف وأصوات التحطيم، والسباب، والتأوه، والاستغاثات..

الأمل في الاختلاء قليلاً بمصابٍ تساقط في أي جنبة من الجنبات، ليجره من رجليه للعتمة، ويتظاهر بمحاولة إسعافه، أو بفحصه، أو بالإجهاز عليه، حسب الظرف البشري المحيط، ويجرده مما معه في ثوانٍ قليلة، حافظة نقوده، جواله، ساعة يده، خاتمه، بل والحذاء كما حدث في إحدى المرات.

صاحب الإصابة الخطرة يكون مستسلمًا استسلامًا يشبه استسلام الميت بين يدي المغسِّل، أما المصاب الذي يعي ما يدور حوله، ولديه صحة للصراخ، يلوِّح له بالمطواة فوق عينيه المذعورتين مباشرة وهو يهدده بأن يطفئ له نور عينيه إن صرخ. ولو أن الضحية أنثى لا يكتفي وقتها بالسلب، بل يعبث بأصابعه المحمومة والمتعجلة بفاكهة الجسد قبل أن يجمعها الموت في سلته للعفن، مؤمنًا بأنه أولى من الدود، لتشعر وهي تسكب الدم من فمها بما يمكن أن تشعر به سمكةٌ شُقت بطنها وهي حية.

عيناه الجاحظتان القاسيتان المتقاربتان في الوجه الموميائي النحيف، وأذناه الطويلتان المنتبهتان، وأنفاسه المتلاحقة، وسكوته المهدِّد، كلها أعطته ملمح (سلعوة) لاهثة أكلها هجير الصحراء وسمٌّ السعار الذي يعتمل فيها، فتسللت خفيةً حتى وصلت إلى كبد المدينة المفتوحة، لتعض أي بائس زاغت عليه عين الشر المبللة بطبقةٍ رقيقةٍ من الدمع الخبيث. ورغم الأذى المترب الذي تنطق به تقاطيع وجهه، والعناء الشرس القديم، إلاَّ أنه لم يكن مثيرًا للشك والانزعاج بعد أن صار وجود البلطجية والمشبوهين في مناطق الاشتباك أمرًا واقعًا ومألوفًا، مثل حومان النسور المشؤوم في العصور الوسطى حول صلصلة المعارك، في انتظار تركةٍ من الهدوء الدموي والجثامين الممزقة.



يجلس ضيق النفَس بين حائط وعربتين، ضيق النفَس مثل كل المنفلتين بالشوارع المحيطة، بل وكل من بالبيوت أيضًا، هؤلاء الذين يتابعون ما يحدث أسفل عمائرهم من خلال شاشات التلفزيون، هؤلاء الذين يتابعون مصر التي عاشت شبقًا للفيضان المنقطع بخيره وشره، فصنعت من أبنائها الفيضـــان.

لم يكن بالطبع يشعر بالكرب أو حتى بالتوتر، بل كان متحفزًا تمامًا وهجوميًا، كأي شخصٍ مرسومٍ داخل لعبة دموية، تحتَّم عليه أن يقتل، وأن يتجنَّب القتل.

لايشوش على انتباهه إلا تلك الرغبة العارمة التي تتغلب عليه بعد تعاطيه الحبوب التي تساعده على البقاء منتبهًا وجسورًا وقاسيًا، والتي اشتدت عليه مع حبة الهلوسة التي لم يعتد عليها، البرشام يطلب الشاي، وهو الآن في رغبةٍ ملحةٍ في كوب شاي كبير ساخن، وثقيل، يمصه على مهل، ويتمتع بموجات الدفء التي تتصاعد في مسام رأسه.

وهذه الرغبة المحمومة في كوب شاي ثقيل هي إحدى العلامات التي كانت ترجح له، وهو يحاول أن يستجمع قدرته على التفكير المنطقي وقد أسند رأسه على إحدى العربتين، ترجح له كونه إنسانًا من لحم ودم، فهو لايظن أنه بإمكان بطل من أبطال الرسوم أن يشعر بالقلق والتحرق الذي يشعر به (الخرمان)، مهما أحسن المصمم صُنعه.

لم يستطع حسم أمر نفسه وحسم أمر مايدور حوله، إنه محتار بالفعل، فالتجسيم، والروائح، والأحاسيس الحاضرة، والآلام، كلها واقعية، واقعية تمامًا؛ إلاَّ أن كل ما حوله يبدو خياليًا ومبالغًا فيه، كالكراهية الشديدة عند المصريين، تجاه المصريين، والتلذذ الذي يشعر به هؤلاء المتعلمون أولاد الناس بتحطيم الممتلكات الخاصة، ليجلسوا من بعد ذلك في المقاهي القريبة يتكلمون بجانبه هذا الكلام الذي لا يفهمه عن الدستور والحريات.



كل ما حوله يبدو خياليًا ومبالغًا فيه، كالطريقة الرشيقة التي يقوم بها رجل أصيب ليستأنف المخاطرة بنفسه، والنمط الهادئ غير المذعور الذي يطفئ به أحد الشباب النار التي مسكت بطرف سرواله من قذيفة المولوتوف..

وتلك البسمة العريضة التي يراها الآن على قناع فانديتا بخديه المتوردين، تلك البسمة التي فيها كل شيء، ولا شيء فيها على الإطلاق، يتسلل بها شاب بهدوءٍ خلف رجل سمين يترنَّح في دمه، رجل سمين يشخر كخنزير بري يمضي في جراح السهام البدائية، ليهديَه بمطواته طعنةً إضافيةً في عجيزته، فحار منها ودار حول نفسه فاقدًا الإحساس بالاتجاه، واستسلم ووقع.

كان صائد الضحايا يلحظ بعينه المنتبهة ذلك الرجل السمين وهو يمضي وعلى ظهره حقيبة كحقيبة أطفال المدارس، وفي يده كيس ورقي، هذا الكيس ظل قابضًا عليه إلى أن مات.

كل ما حدث من هذا السمين أنه شق المنطقة الملتهبة بهدوء ماضيًا إلى حال سبيله، فانهمرت على حقيبة ظهره وكيس يده حزمٌ من كل اتجاه من الليزر الأخضر، هذا يعني أنه أثار الشك بما يحمله، صار بها رجلاً يجب التعامل معه.

سببت له حزم الليزر بعض الارتباك، كحيوان بليد حاصرته الأضواء الباهرة لعربات الصيد من كل ناحيةٍ في ليل الصحراء، وهو مصرٌّ على أن بإمكانه أن يمضي، وأن بإمكانه أن يحتفظ بهدوئه.

هاهو يسقط في آخر الأمر مثل دبٍّ مثخن، يتقدَّم إليه الشباب ليتفحَّصوه وقد اندس بينهم صائد الضحايا، يتضح لهم جميعًا من ملامح وجهه أنه مريض بالبله المغولي، وتأكد هذا الأمر من ميكي المرسوم على الحقيبة، ومن الكيس الذي لم يفرِّط فيه للنهاية، المليء بثمار (الحرنكش)؛ لقد ابتسم لهم ابتسامةً خجول، ابتسامة طفل تم الإيقاع به في لعبة (الاستغماية)؛ رحل الذي كان صدقًا يحتفظ بمسافة واحدة من الجميع، بعد أن زفر زفرة أخيرة أخرج فيها عناءه.

يلحظ صائد الضحايا أن القتلى حوله والمصوبين بالليزر قد تأسفوا قليلاً، أقل مما كان يراه على وجه واحدٍ من مثل هؤلاء إن دهس قطة.





حتى هذا القدر القليل من الأسف لم يظهر على وجه من أجهز عليه، فقد كان خلف القنــاع محكومـًا حتى في هــذه اللحظــة المؤسفة وهو ينحني على جثته بابتسامة فانديتا التي لم تكن مناسبــة.

ينفضُّون عنه إلى نقاط الارتكاز، متابعين النضال؛ ليفتِّش هو القتيل بخفة يد، ولم يجد معه شيئًا، فكان كيس الحرنكش غنيمتـه الوحيدة، فأخـذه من يد القتيــل ومضى؛ خيــالي ومبالــغ فيه هــذا الرعــب الهزلي، للدرجة التي ترجح كون الأمر لعبة متطورة، وموسَّعة، ومكلفة، حد الإدهاش.

أخذ يأكل الحرنكش على الرصيف وهو ينظر للميت المدد في الطريق ولازالت الحقيبة على ظهره، وعيناه الضيقتان مفتوحتان على السماء، حتى أنهى كل ما في الكيس.

وتحركت فيه بعد هذه الوجبة رغبة مفاجئة وعارمة في التبرز، جعلته يعاني بشريته الحقيقيـة، ويتلمَّـس واقعيـة ما يدور حوله؛

فالرغبة في التبرز تفصيل إنساني لا يخطر ببال مصممو البرامج؛ وحتى لو وردت بذهن مصمم متمكن لايفوته شيء، سيكتفي بالعلامـات الخارجيـة التي تؤكـد احتيـاج شخصيته لتلبية نداء الطبيعة، كالتلوِّي، ومسك البطن، والعض على الكف، هذا ميسور، لكن من أين يأتي مصمم برامج اللعب ذات المؤثرات الفائقة بتلك المهارة لصنع هذه التقلبات الداخلية التي تفرض نفسها وكيف يبثها في جوف أبطاله؟!

مستحيل.. مستحيل.. هذا البراز الذي أوشك أن يغلبه، وهذا الحقد اللاهب من جوف المتظاهرين، لا يمكن أن يكونا لعبــة.

رفع رأسه المستند على العربة وهزَّه، نعم، نعـم؛ أنا أظـن إذًا أنني إنسـان حقيقي، للأسـف؛ هكذا حـدَّث نفسـه، على سبيــل الترجيــح لا الحســم.

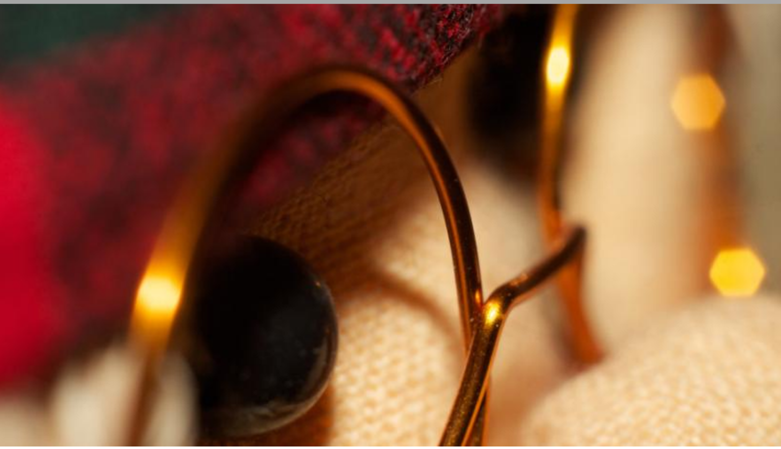
وشعر أن عليه أن يتصرَّف بسرعة، فهو يحسُّ وكأنه يحمل قربة مكتظة رجراجة، فمها لأسفل، وسينحل حبلها المربوط بعد قليل. ونظر خلفه لممر العمارة الداخلي، حيث أقرب الحلول، وهذا الحوض الطيني الطويل المسوَّر بالرخام والمزروع بأشجار الياسمين، واتخـذ قـراره وهو يعـض شفتـه من إلحاح أمعائـه.

وفي هذه اللحظات التي كان يتسلل فيها في ممر العمارة ليقضي حاجته، وهو يحل حزامه، وينزل سحَّاب سرواله، بعد أن طوَّق جبهتـه بشارة مكتـوب عليهـا: (الثـورة مستمـرة)، تلك الشارة التي لايستطيع قراءتها، الكفيلة وحدها بتغيير قيمته، بأكثر كثيرًا مما يفعل جواز السفر الدبلوماسي..

في هذه اللحظات كان طبيب أسنان شاب من سكان العمارة، توحي ملامحه بالانطواء والدماثة، ينزل بامرأته مهندسة الديكور على السلالم باتجاه مستشفى الولادة، من أجل أن تضع طفلها بولادة قيصرية كما ولدت طفلها الأول، ووجهها شاحب لدرجة توحي بالتعاسة والظمأ، وحول عينيها هالة غامقة، من آثار الحمل، ومن افتقار البشرة للمكياج الذي اعتادت عليه..

ترتدي (دريل) واسع من الصوف الداكن، وتنتعل حذاءً من القماش بغير كعب، وتمسـك بيدهـا الأخـرى بطنهـا من أسفـل تكورهـــا.

وحقيبة أغراضها البيئية الأنيقة المصنوعة من قش الأرز، التي جهزتها منذ نصف شهر، التي نسي الزوج أن يسبقها بها ليضعها بالسيارة ويعود لمرافقتها، ها هي معلقة على كتفه وممتلئة عن آخرها بشكل مرتب وتفوح منها رائحة طيبة ككل حاجاتها؛ وضعت بها للمولود القادم مقعد سيارة، وعلبة حفاضات، وبذلة شتوية من قطعة واحدة؛ ووضعت كذلك لنفسها ملابس للنوم، وملابس للتمشي داخل المستشفى، ووسائد للثدي، وفوطًا صحية، وقميصين بأزرار أمامية لتسهيل عملية الرضاعة، وبعض أدوات الماكياج الخفيفة، وراديو ترانزيستـــور.



الحقيبة على كتفه، ونظارته الطبية الرقيقة توشك أن تقع من فرط الارتباك، وهي تلومه في نزولها مرة أخرى على أنه لم يسبقها للسيارة بالحقيبة، وعلى كراهيته الفطرية لأن يكون مستعدًا، تنزل بحذر وهي تنظر لمواضع قدميها المختبئة تحت بطنها المتكور، وهي تحمد اللّه على أنه لم يكن جراحًا، لأنــه كــان سيتـرك جوالاتــه فــي أحشـاء المـرضى.

في نقطة تلاقٍ رهيبة، وهي تستند على زوجها والألم يعتصرها، خارجيْن من الباب الداخلي ذي الزجاج المعتم، وهو يصبِّرها ويطلـب منها التحمل حتى الوصـول إلى مستشفى هليوبوليس القريب، ويرجو اللّه أن يكون الطريق آمنًا، ومدافعًا عن نفسه ضد تهمة عدم الاستعداد، بأن هذه الأيام التي تمر على مصر لا يستفيد المستعدون فيها من استعدادهم كثيرًا..

وما أن أتم هذه الكلمات حتى كان صائد الضحايا، الذي له ملمح السلعوة، مريعًا في المواجهة، جالسًا بفُحش طرزان وقد غمره الضـوء الأبيـض الساطـع لمصبـاح الزئبـق، فـوق الإفريـز الرخامي للحـوض، وبيـن شجرتين، يقضي حاجته وفي يده ياسمينة يشمهـــا.



أصابتهما معًا ارتعادة واحدة، وارتباك شديد وشعور بالضياع الذليل، تركت يد زوجها، مسكت بطنها بيديها الاثنتين وهي تنظر للمشهد البشع فاغرة فمها تتأوه، غير قادرة على أن ترفع عينيها بعيدًا عنه من شدة الصدمة، فيما سقطت نظارة الزوج الطبية، والتقطها من الأرض، ووضعها على عينيه بغير أن يمسح ما عليها من تراب، وأخذ يبعد نظر زوجته عن متابعة الشاب الجالس، الذي رسم الألم اللذيذ للتبرز على وجهه ما يشبه ابتسامة فانديتا..

وفي ذات الوقت، وجد نفسه يعتذر إليه عن اقتحامهما خلوته في مدخل العمارة، مبررًا ذلك بصوت شرخه الخوف بأنه ذاهب بها للمستشفى لتضع مولودها، فرد عليه بلسان ثقيل وبلهجة خاملة وهو يحزق: "طيب، بس ما تتأخروش".

مضيا أمامه متجهين للباب الخارجي يسرعان الخطوات، مرتبكين أشد الارتباك، هو متحسر ومنكفئ في قامته الطويلة، يحاول الدفاع عن نفسه بكلمات متلعثمة ضد تهمة الجبن التي لم تنطق بها، مبررًا أدبه وسعة صدره مع صاحب الشارة الثورية الذي يتبرز عند مدخل العمارة، بأن هذا ربما يجمع عليهما بصيحة واحدة العشرات من الهمج إن احتك به، وهي هاربة في هيئتها شبه الكروية هروبًا يشبه التدحرج، مستغنية بآلامها عن سماع عذره..

وأخفى هو عنها ما تذكره للتو من أنه نسي حافظة النقود والجوال فوق التلفاز، مضيا معًا هاربين من الغم الذي أصابهما به إلى همٍّ الشوارع المستباحة، فيما لازال هو في جلسته يشم الياسمينة.

لكن لا بأس؛ فهذا المشهد الذي اعتبره هو دليلاً مقنعًا على إنسانيته وواقعية ما يدور حوله، واعتبراه هما دليلاً على أنهما في كابوس مشترك، هذا المشهد كان له الفضل بعد قليل في أن تلد المرأة ولادة طبيعية، بغير حتى مساعدة من الطلق الصناعي.

انتهى



أسباب تجريف المصطلحات الشرعية في وعي المجتمع

بقلم: طاهرة عامر



لا يوجد أمة على مر التاريخ تنهض وتتقدم حضاريًا بلغة غيرها..

فما بالك لو شاهدت أمة تمارس بلا وعي منها عملية إحلال وتجريف للمنظومة المفهومية والاصطلاحية لمرجعيتها المطلقة، وتنساق انسياق الوحوش نحو الانسلاخ التام من هذه المفاهيم الواجبة؛ لتستخدم محلها مصطلحات موهومة وافدة، ويتسع الانفصام بينها وبين المصطلح والمفهوم الأصليين، حتى يصل إلى حد النفور والتنافر، ومن ثمَّ الإهمال.

كيف وصل احتلال العقل المسلم في ديارنا أنك لو تحدثت مع أحد عن مفهوم "الدعوة إلى الإسلام" أو "الدعوة" بمفهومها العام المُعبِّر عن الدعوة إلى الخير أو المعروف - أن ينجرف عقل المستمع تلقائيًا إلى صورة "التنظيمات" و"الحركات" الإسلامية البارزة على الساحة، ويتصور أن هذه مفاهيم وتصورات خاصة بتلك الحركات فقط وأنه ليس معنيًّا بها؟

كيف انحصرت المصطلحات الشرعية لتكون دعوة يُناط بها فئة من الناس، وليست مخصصة للأمة قاطبة؟

كيف لا يتداعى إلى ذهن المستمع والمتلقي قول الله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[آل عمران: ١١٠].

::: نورد في هذا المقال جملة من الأسباب التي تسببت في تجريف المصطلحات الشرعية:::

أولاً: الأمية الدينية:

يذكر الشيخ منَّاع القطان في كتابه "معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية" عامل الأمية الدينية على أنه رأس المعوقات أمام تحكيم الشريعة الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي؛ حيث..

"مناهج الدراسة في معظم البلاد الإسلامية بالتعليم العام شملتها موجة التغريب، ووقعت في شِباك المندوب السامي البريطاني "كرومر"، ووزيره القسيس "دنلوب" في مصر؛ فانطمست معالم المواد الدينية، ولا تشمل خطتها سوى مادة واحدة لا يزيد نصيبها عن ساعة أو ساعتين في الأسبوع"[١].

(١) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، الشيخ/ منَّاع القطَّان، ١٩٩١م، ص ١٦.



ويُذكر أنه هذا القدر اليسير من المحتوى الديني الرسمي أصبح يشهد ضمورًا في ربط الناشئة بالمصطلح القرآني والحديثي؛ ليحل محله مفاهيم عامة أغلبها ذات بُعد علماني، يُفقد الناشئة الارتباط بوشاج العقيدة، ويُذكِّي الانتماء للأرض ومفاهيم المواطنة أكثر من الانتماء للعقيدة.

يُذكر أنه منذ بضع سنوات ثار جدلٌ ودعوات تطالب بإلغاء مادة التربية الدينية التي تُدرس في المدارس، وإحلالها بمادة تحوي قيمًا مهجّنة بين الإسلام والمسيحية.

حيث عُقِد مؤتمر، عام ٢٠٠٩م، بحضور وزير التعليم آنذاك يسري الجمل بعنوان "التعليم والمواطنة"، طالب فيها محاضرون ونشطاء وزير التربية والتعليم إما إلغاء مادة التربية الإسلامية من التعليم المصري، أو إضافة آيات من الإنجيل وإدخال تدريس التاريخ القبطي إلى المناهج.

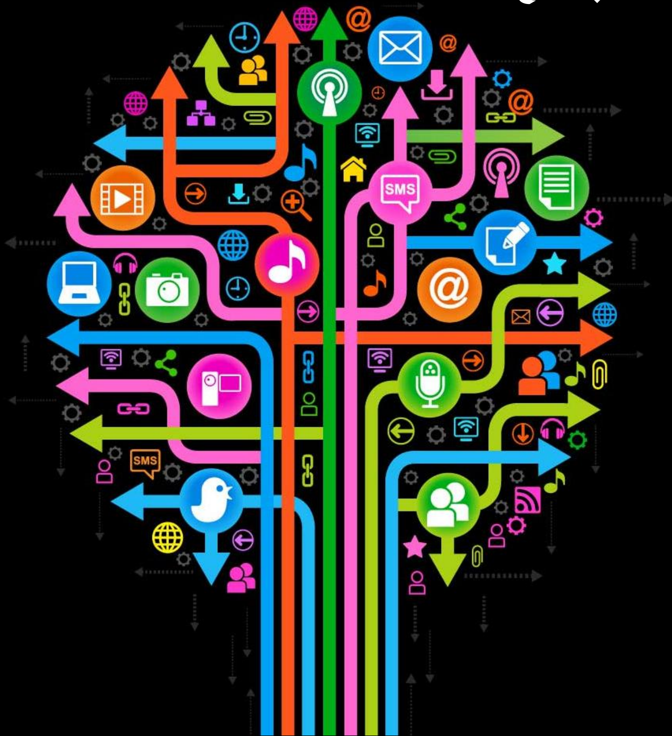
حيث عبَّر رئيس رابطة معلمي القاهرة آنذاك (عمر موسى) عن أن:

الدعوة إلى إلغاء مادة التربية الإسلامية هي "دعوة مثالية"؛ لأن تدريس مادة التربية الإسلامية يقوِّض أساس المواطنة، ويزرع بذرة الدولة الإسلامية التي "تُقصي الآخر وتهمشه".

ثانيًا: وسائل الإعلام:

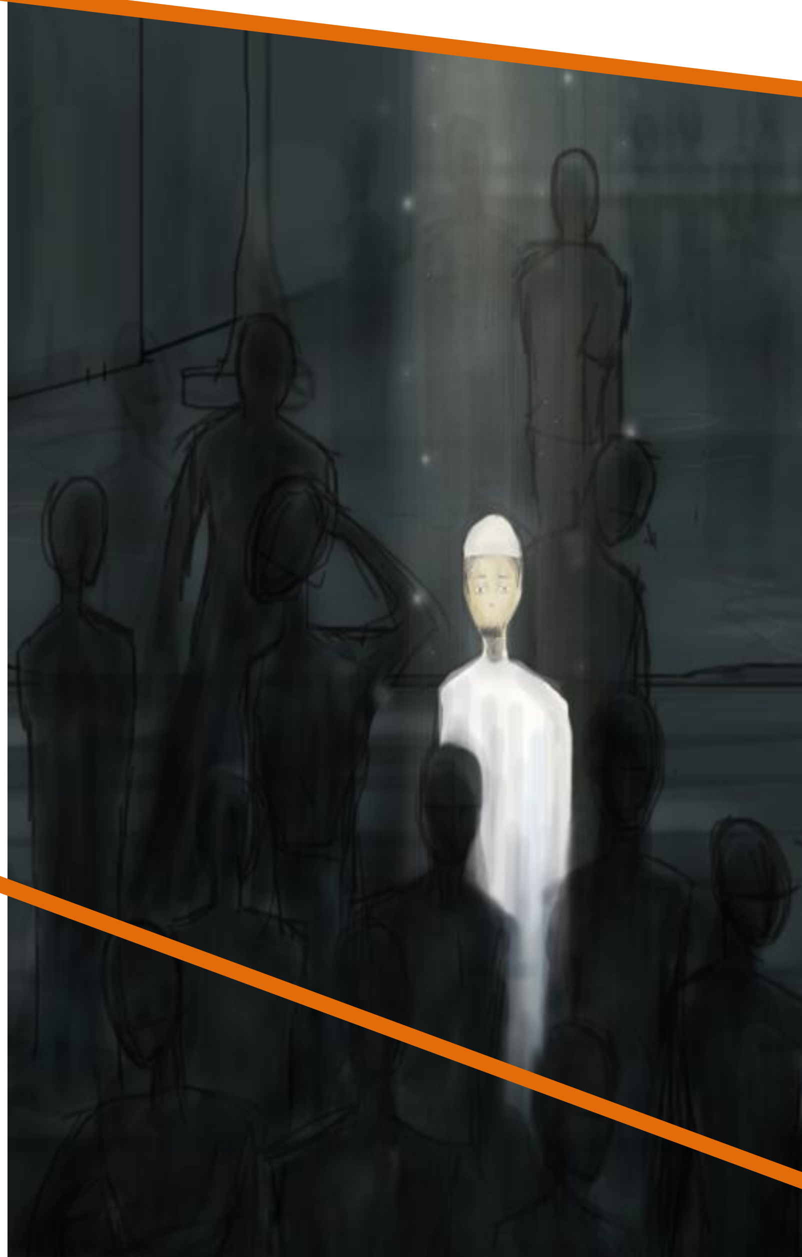
لا يخفى على أحد أن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والإلكترونية هي الرافد الأساس في تشكيل الوعي العام في المجتمع، وهذه الوسائل إلى جانب تدخل عامل التمويل فيها منذ عقود خلت.

وهي تعتمد في رسالتها على تغريب المتدينين في المجتمع وحصارهم، والعمل على تغريب المفاهيم الإسلامية عن المجتمع.



يكفي أن تسمع في وسائل الإعلام مصطلح "التحول عن الإسلام" و"المتحولين"؛ رغم أن المسمّى الصحيح هو الارتداد عن الإسلام.

وإنما تستخدمه وسائل الإعلام من باب التخفيف من دلالات لفظ ردّة؛ لما فيه انتكاس وتقهقر وتراجع كما يصفه الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].



ثالثًا: تقصير العاملين في الحقل الدعوي والعمل الإسلامي:

إن التنوع والتباين المؤدي إلى الانقسام في العموم بين العاملين في الحقل الدعوي الإسلامي رسّخ في المجتمع..

- أن المصطلحات والمفاهيم الشرعية إنما هي دعوة هؤلاء وحدهم والمجتمع غير معني بها..
- وأن المصطلحات الشرعية هي أمور متباينة ونسبية تخضع لتأويل العاملين في الحقل الدعوي والحركي الإسلامي وحدهم..
- وأن الانضواء تحت لواء الإسلام والدفاع عن الشريعة إنما يتمثل في الانضواء تحت أي حركة إسلامية.

ويُضاف إلى هذا التقصير تقاعس كثير منهم في:

- تحديد أسباب بروز ما يُسمى بالحركات الإسلامية في الأساس في مطلع القرن المنصرم..
- وتعريف الناس بالأصل والرافد من الأفكار والمعتقدات..
- واستسلامهم لتهمة أن الحركات الإسلامية هي التي قسّمت المجتمع الإسلامي وغير إسلامي، وأنهم يستخدمون مفاهيم مفارقة لما يستخدمه المجتمع وتعارف عليه.

وكما يقول العلاَّمة المغربي د. فريد الأنصاري في التفريق بين "الحركة" و"الدعوة":

"فالحركة الإسلامية تشتغل حول النص، بينما دعوة الإسلام تشتغل بالنص وفي النص، وتدعو إلى النص، فعملها مرتكز أساسًا على التعامل المباشر مع الوحي، تخلقًا بأخلاقه وتحققًا بأحكامه وحِكمه، ودعوة للناس إلى الدخول في فلكه؛ فالنص في الأولى شعار، وهو في الثانية مدار، يؤدي الدخول في محيطه إلى ابتلاء عملي للنفس، وسلوك تطبيقي في المجتمع"[(١)].

وكل هذه الأشياء أغفلها العاملون في حقل الدعوة وفي العمل الإسلامي.



(١) الفطرية دعوة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، فريد الأنصاري، ٢٠٠٩م، ص ٣٣.

رابعًا: ضمور مفهوم "تدارس القرآن" في حلقات القرآن ومعاهد التحفيظ:

لا يمكن أن يغفل أحد أن حلقات تحفيظ القرآن في مصر زادت وانتشرت وتأسست لها الكثير من المعاهد في السنوات الأخيرة، وأنها أصبحت أكثر تنظيمًا وانتشارًا في المساجد، سواء للرجال أو للنساء أو الأطفال..

لكن هذه الحلقات صارت غايتها هو التحفيظ الكمي للمتلقي، والدخول في مسابقات، بعيدًا عن غاية ربط الناس بالوحي، وتلقي القرآن حفظًا وتلاوة وتزكية وتعلمًا، وإغفالاً لقول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[آل عمران: ١٦٤].

كل هذا الغياب لمفهوم تدارس القرآن وتلقي مرادفاته أدى إلى وجود حفظة في المجتمع؛ لكنهم لا يتشربون المصطلحات الشرعية والمفاهيم القرآنية كما أتت من مصادرها..

فكيف يُناط بهم مهمة التعريف بالمصطلحات الشرعية وتحبيب الناس إلى استخدامها بدلاً من المصطلحات الوافدة، وهم لم يتشربوها بعد؟

كيف يؤثرون في المجتمع بما منَّ الله عليهم به من حفظ الكتاب؟!



حلـول لمواجهـة تجريـف المصطلحـات الشرعيـة في وعـي المجتمـع:

أولاً: الثقة بالذات هي أولى خطوات كسر هذا التجريف الحاصل للمصطلحات والمفاهيم الشرعية في وعي الناس ونفض غبار الهزيمة عنها، هذا الإحساس بالثقة سوف يجعلنا نأبى استخدام المصطلحات والمفاهيم الوافدة ذات البعد العلماني في مكوناتها ودلالتها.

يكفي أن تُبرز للناس الفارق الدلالي والاصطلاحي بين مفهوم أهل الذمة في الإسلام ومفهوم حقوق الأقليات العلماني الغربي، وكيف نخجل من تسمية غير المسلمين من غير المحاربين بأهل الذمة بينما تُطلق عليهم السياسة العلمانية مصطلح الأقلية من باب التحقير؟! أيهما أكثر احترامًا في وصفهم "الذمة" أم "الأقلية"؟

ثانيًا: حث المنابر الإسلامية المُزاحِمة للمنابر الأخرى سواء في الإعلام أو التعليم أو الدعوة على الاهتمام بإبراز المصطلحات والمفاهيم الشرعية للناس، وتصحيحها في عقولهم، وتحبيبها إلى نفسيتهم، وتأليف استخدامها بينهم، وإفشاء هذه المصطلحات والمفاهيم على ألسنة الإعلامي المسلم، والمعلم المسلم، والمعلمة المسلمة.

ثالثًا: تحذير الناس من قبول الصيغ اللفظية الشائعة الجاهزة الواردة في الإعلام ومناهج التربية، دون عرضها على الإسلام عرضًا وتفكيكًا لمعرفة مدى مطابقتها له من عدمه.

وحث الناس على التفكير إلى ما وراء المصطلح، والدلالات المولِّدة له، والمفهوم الكامن بداخلها، مع العمل على تذكيرهم أن الإسلام هو التصور الأساس لرفض المصطلحات أو قبولها.

ونذكر في هذا المقام مصطلحات مثل: احترام الرأي والرأي الآخر بإطلاق، التي تُشاع حتى لو كان هذا الرأي فيه من الازدراء والتهكم لشعائر الإسلام؛ فينبغي إبراز حقيقة أن مثل هذا المصطلح إنما هو مصطلح موهوم، ولا يحتمل دقة ولا يراعي ثابتًا.

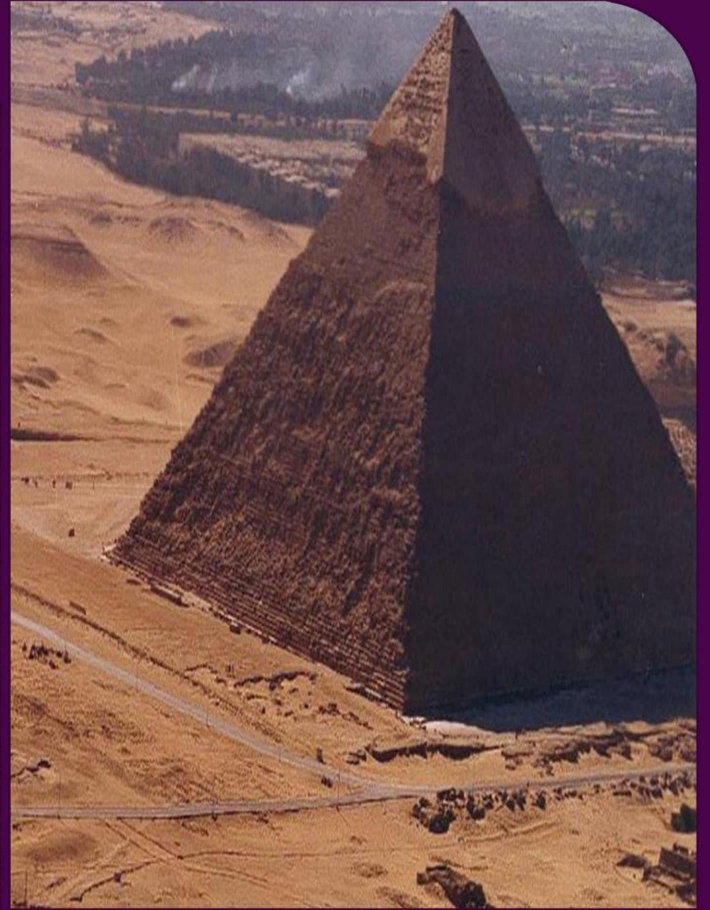
رابعًا: إقامة حملات دعوية مخصصة لتعريف الناس بالمفاهيم الشرعية.

وتشمل على سبيل المثال تعليق اليافطات في المساجد لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ودورات لحث قطاع المعلمين على احترام خصوصية اللفظ الشرعي ورفعه وتقديسه، وإعلائه على ما دونه من مصطلحات وافدة.

انتهى









مدخل لفهم سوسيولوجيا السلطة العسكرية

بقلم: محمد توفيق



بات من الواضح في ظل التحولات السياسية التي تمر بها المنطقة الدور الفاعل والمؤثر للجيوش في المعادلة السياسية، خاصة في حقبة ما بعد الربيع العربي.

وينشغل فرع "علم الاجتماع العسكري" بتتبع أنساق وأنماط هذه المؤسسة المعقدة والفاعلة، سواءً على المستوى الداخلي، أو على المستوى الإقليمي، وهو الأمر الذي صار منحتم المعرفة في الحالة الراهنة، وتحديداً عقب انقلاب الثلاثين من يونيو عام ٢٠١٣م في مصر.

خصائص السلطة العسكرية:

(١) وظيفة القوات المسلحة تتسم بعدم الاستقرار، وتعتمد على ما إذا كانت هناك ظروف تهدد أمن البلاد بالخطر أو بالحرب؛ حيث تستجيب لهذه الظروف بسرعة وباستعداد مناسبَين.

(٢) تعتبر السلطة العسكرية نسقًا اجتماعيًا متدرجًا بدقة، ويبدأ التدرج الهرمي العسكري من رئيس الجمهورية بصفته القائد الأعلى وينتهي بالفرد المجند، ويتمثل هذا فيما يعرف بالتسلسل القيادي (Chain of command).

ويقوم التدرج الهرمي العسكري على الرتبة العسكرية التي تحدد نمط العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين، والرتبة العسكرية صفة أو نوعية تعطى للأفراد العسكريين تحدد مكانهم في الهيكل التنظيمي العسكري بشكل دقيق، وتعطيهم صلاحية ممارسة السلطة وإلقاء الأوامر داخل إطار يحدده القانون العسكري.

وتقسم هذه الرتب إلى درجات تحدد الأوضاع والقوة النسبية للفئات المختلفة من الأفراد الذين يتقلدونها.

(٣) يكتسب العسكريون القواعد والإجراءات والاتجاهات العسكرية من خلال التدريبات الأساسية؛ حيث يتلقى الأفراد تدريبات عسكرية وفق ما يسمى بـ "الدليل الميداني"، الذي يجزئ العمليات العسكرية إلى مراحل متعددة، وذلك حتى يتمكن الأفراد من أدائها واستيعابها بسهولة ودقة.



(٤) يوصف كل فرد في القوات المسلحة بـ"رقم عسكري"، يحوي رقمًا مسلسلاً للفرد العسكري، وأرقام السرايا، والكتائب ونوعيتها.

(٥) يتميز النسق العسكري بأنه - غالبًا - مجتمع مكتفٍ ذاتيًا، ويعمل على توفير كل حاجات أفراده التي تمكنهم من أداء أدوارهم فيه، كما أنها غالبًا ما تمارس هذه الأنشطة في أماكن منعزلة عن المناطق المدنية.

(٦) اختلاف المكانة الاجتماعية بين الضباط والجنود، وهي من أبرز سمات النسق العسكري وضوحًا، وتشجع السياسة العسكرية هذا الأمر وتعتبره ضرورة انضباطية.

كما يؤكد القانون والتقاليد العسكرية على ضرورة وجود مسافة اجتماعية بين الضباط والجنود، وتبرز هذه المسافة على سبيل المثال في استخدام التالي: ميز الضباط، ميز الجنود، نادي الضباط.

(٧) النسق العسكري يعتبر بناء بيروقراطي لا شخصي، تتحدد شرعية السلطة فيه في المنصب، وليس فيمن يشغل هذا المنصب.

مدخلات السلطة العسكرية:

(١) **القوة البشرية**: وهي تشمل كل أفراد الخدمة الدائمة الخاضعين للانضباط العسكري، بالإضافة إلى القوات الاحتياطية، وقوات الدفاع المدني، والقوات شبه العسكرية. وتتطلب دراسة القوة البشرية العسكرية توافر البيانات والإحصائيات الخاصة بحجم وشكل القوات.



وهناك في الواقع ثلاث هيئات تهتم بجمع وتقدير هذه البيانات في الولايات المتحدة:

- الهيئة الأمريكية للرقابة على الأسلحة ونزع السلاح:
  The U.S. Arms Control and Disarmament Agency (ACDA)
  وتقوم بإصدار كتاب الإنفاق العسكري العالمي
  World Military Expenditures and Arms Transfers
- المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية:
  The International Institute for Strategic Studies
  ويقوم بإصدار كتاب سنوي باسم التوازن العسكري "The Military Balance".
- معهد بحوث السلام الدولي باستكهولم:
  Stockholm International Peace Research Institute
  ويقوم بإصدار كتاب سنوي بعنوان "التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي"، تقوم بترجمته وحدة الترجمة بمركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

(٢) الإنفاق العسكري: ويمكن معرفته موقع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) من خلال ما يعرف بـ "The World Factbook".

(٣) دوافع الالتحاق بالجيش: وهي دوافع تتنوع وتختلف تبعًا للرتب والمناطق التي ينتمي إليها الأفراد.

مخرجات السلطة العسكرية:

(١) العسكريون: ويضم الأفراد العسكريين وأسرهم.

(٢) الضباط المتقاعدون: وهي فئة عسكرية بات لها وضعية مدنية ممنهجة في النظام الإداري والسياسي المصري، حيث يتم توزيع المتقاعدين والمحالين على المعاش على مناصب حساسة ومؤثرة في النظام السياسي والبيروقراطي المصري.

(٣) الجنود المسرحون.

(٤) الرأي العام والسلطة العسكرية: وتتحكم في تشكيل رأي عام محدد تجاه القوات المسلحة، عن طريق قطاع الشؤون المعنوية، والتحريات العسكرية، تبعًا لما يطرأ على المشهد السياسي والاجتماعي والإقليمي المصري.

(٥) المُخرج الاقتصادي: وهو ناتج النشاطات الاقتصادية الرسمية والسرية التي تملكها كل مؤسسات القوات المسلحة، وغالبًا ما تحاط الأرقام الحقيقية لنواتج هذه المؤسسات بسرية تامة.

انظر على سبيل المثال تقرير:
Egypt in Transition:
Insights and options for U.S. policy
"التحول في مصر: رؤى وخيارات للسياسة الأمريكية"، الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية.



تدخل السلطة العسكرية في شؤون المجتمع:

▪ أشكاله:

(١) **النفوذ العسكري:** وتكون فيه القوات المسلحة جماعة ضاغطة، ويسود هذا النفوذ في الدول التي يكون فيها الضبط المدني فوق القوات المسلحة قويًا ومستقرًا.

(٢) **المشاركة السياسية:** ويكون فيه للقوات المسلحة دور التصويت عند اتخاذ القرارات.

(٣) **الضبط العسكري فوق السياسة:** وتقرر فيه القوات المسلحة من الذي يكونون في مواقع القيادة، أي السياسات تتبع وكيف توزع المصادر الحكومية.

▪ عوامله:

(١) **عوامل داخلية:** قد يحدث أن يناط بالقوات المسلحة مهام هي من صميم مهام الشرطة، وتصبح بهذا طرفًا في النزاع السياسي، كما أن درجة التماسك والذاتية التي تتمتع بها البنية التنظيمية للقوات المسلحة تزيد من احتمالية تدخلها في شؤون المجتمع تبعًا لدرجة هذين العاملين، كما يضاف لهما درجة الوعي السياسي الذي قد يراه العسكريون في أنفسهم؛ مما يدعوهم لتنصيب أنفسهم وصاة على أفراد المجتمع المدنيين.

(٢) **عوامل بيئية:** وتضم العوامل الاجتماعية (الأوضاع الطبقية والطائفية والفروق التعليمية)، والاقتصادية (محاولات المدنيين تخفيض مخصصات القوات المسلحة أو امتيازاتهم)، والسياسية (ونموذجها كالحاصل من انقلاب عسكري في مصر).

▪ مبررات التدخل:

يرتكز العسكريون على عدة أسباب تُسوغ تدخلاتهم في الشئون المجتمعية، وهي كما يلي:

(١) أن الحكومة المدنية فشلت في تحقيق الأهداف التي يرجوها الشعب.

(٢) أن الحكومة المدنية قامت بأفعال غير قانونية تتعارض مع المبادئ الدستورية.

(٣) أن الجماعات القائمة تصرفت بما يهدد الأمن الداخلي للبلاد، وشجعت على العنف وعدم الاستقرار السياسي.

(٤) أن الحكومة تبنت سياسات أدت إلى الانهيار الاقتصادي.

(٥) أن الحكومة قد فشلت في تخطيطها لبرامج الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي.



أنواعـــــه:

نوع التدخل:	معتدل	وصـي	حاكـم
مـدى القـوة:	قـوة معارضة	ضبـط حكـومي	حكـم مسيطـر
الأهـداف السياسيـة والاقتصادية:	يبقـون الوضـع كما هـو.	يبقـون الوضـع كما هـو أو يصححون القصـور أو يطبقـون شيئًا جديدًا.	يؤثـرون على الأوضاع السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية.

أسباب عـدم استقـرار الحكـم العسكـري:

(١) إجبـار العسكرييـن على التخلـي عـن السلطة، تحت الضغط المدني والمعارضة المدنيـة المكثفـة.

(٢) أن يتولى ضبـاط آخـرون معروفـون لـدى الحكومة المدنية إزاحة الضباط الحاليين.

(٣) أن يتخلـى العسكريـون طواعيـة عـن الحكم تحت الضغط الداخلي من قبـل الضباط، أو الخارجي من قبل المدنيين.

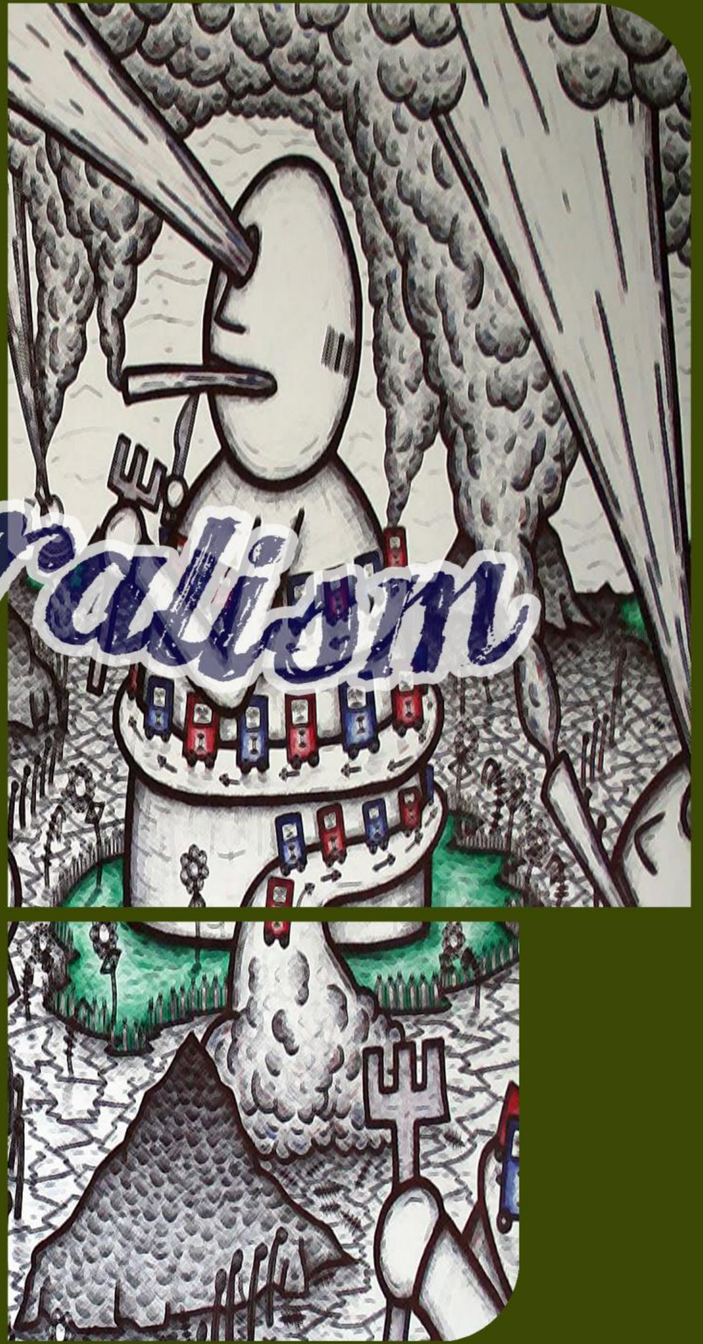
كان هذا مرورًا سريعًا على سوسيولوجيا النسق والسلطة العسكرية، استلزمتها الحالة السياسيـة المصريـة الراهنـة، مع الاعتـراف بكونها مختصرة بشكل مكثف، إلا أني أحيـل على مصدريـن أساسيين قد يعطيـان مزيـد تفصيـل وبيـان للموضـوع:

- "علم الاجتماع العسكري"، د. أحمد إبراهيم خضر، نشـرة دار المعـارف بالقاهـرة.
- "الصفوة العسكرية والبناء العسكري في مصر"، د. أحمـد البيـلي، نشـرة الهيئـة المصرية العامـة للكتـاب.

انتهى







نقد التقريب بين الإسلام والليبرالية

التسامح مع الآخر (٢/٢)

بقلم: حسين عبد الرازق



التسامح مع الآخـــر

رؤيـة نقديـــة، وتشمـــل:

- التسامح الليبرالي بهذا المعنى لا يُقره الإسلام.
- بيان مذهب الإسلام مع الكافر (الآخر) باختصار.
- نقـد التســامح الليبــرالي الغــربي مـن حيـث: (النظريـــة، والتطبيـــق).

أولاً.. إن دين الإسلام هو الدين الحق الذي رضيه اللّه لنـــا دينـًــا..

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، كمـا أنـه سبحانـه لا يرضى لعباده الكفر، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧].

ولن يؤمـن عبـدٌ حتى يكـون موقنًـا بصحـة دينـه..

قال تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النســاء: ٦٥].

وذكر أن الريـب والشـك في شريعتـه من خصــال المنافقيــن والكفــار..

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٤٦-٥٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

وهـذا يناقـض مبـدأ النسبيـة، الذي هـو أساس في التسـامح الليبرالي خصوصًا، وفي الفكـر الليبـرالي عمومـًا.

والتسامح الليبرالي إذ بُني على العلمانية فهـو يناقـض ما بُنيَ عليه الإسـلام من أن المـرد في الأحكــام إلى الوحـي..

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النســاء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].



الولاء والبراء

ولما كان الإسلام الدين الحق وما سواه باطلاً، ولما كان الإسلامُ دينًا تشملُ أحكامُه شؤونَ الحياة الدنيا والآخرة جميعَها، ويحتكمُ إليه المسلم في كل ما يؤمن به من قوله وفعله الظاهر والباطن، وهو مرجعه في تحديد طبيعة علاقاته الفرديّة والاجتماعية مع المسلمين وغير المسلمين = كان لابد أن يكون لشُعبة الولاء والبراء فيه مكانةٌ عظمى، بل هي مكانةٌ مرتبطة بأصل الإيمان..

فلا بقاء للإيمان بغير ولاء وبراء، وذهاب الولاء والبراء يعني ذهاب الإيمان كله رأسًا.

لذلك كانت شعبة الولاء والبراء مرتبطةً بوجود الإسلام..

فما دام في الأرض مسلمٌ، وفي الأرض كافر أو مشرك = فلا بُدَّ من أن يكون هناك ولاءٌ وبراء، لا من قِبَل المسلم وحده بل من قبل مُخالِفهِ أيضًا، وهذا أمر يشهد له الشرع والتاريخ والواقع.

وقد ذكر الله سبحانه خصال المؤمنين ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالمسلم ولاؤُه لله ولرسوله وللمؤمنين وللإسلام..

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

وفي قول النبي ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».

كما نهى سبحانه عن اتخاذ الكفار أولياء، قال تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى مبينًا أن اتخاذهم أولياء ينافي الإيمان بالله وبالرسول ﷺ وما أنزل إليه:

﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

وقال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: ٢٢].

الولاء والبراء



وكان من دعوة الرسل عليهم السلام البراءة من الشرك والمشركين..

كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وفي قول هود عليه السلام لقومه: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

وهكذا جميع الأنبياء، ما أن يُعلنوا بدعوتهم حتى يعلن أقوامهم العداوة لهم، وحينها لابُد من ثبات أهل الحق على حقهم.. ولن يثبتوا بغير...

الولاء فيما بينهم،،،

والبراء ممن عاداهم.

إذاً: فالولاء والبراء سنةٌ كونيةٌ بين أصحاب الأديان والعقائد والمذاهب المختلفة، لا يمكن أن يزول ما دام على وجه الأرض اختلاف، وأن هذا المعتقد لا يخلو منه كل حيّ على وجه الأرض، أن يُوالي من يوافقه، ويبرأ ممن يخالفه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومما يناقض فيه الإسلامُ التسامحَ الليبراليَ: أن مِن أجلّ مقاصد الإسلام الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر..

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد بيّن الله أن من أسباب هلاك الأمم أن يُعدم إنكار المنكر، أو معاقبة المخطيء..

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا؟ قَالُوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

والإنكار يكون باليد أو باللسان أو بالقلب، أي بالإيمان أن هذا الفعل منكر..

كما في قول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

وكذلك فقد جاء الإسلام بعقوبات على بعض المعاصي حفاظًا على الفرد ومجتمعه كما في الحدود؛ كحد الزنا، والقذف، وشرب الخمر، والسرقة، ويدخل في ذلك حد الردة.

وهذا يناقض التسامح الليبرالي الذي ينهى عن التدخل في تصرف من سموه (الآخر) أيًّا كانت مخالفته.

ومن زعم من المفكرين والمثقفين العرب أن الإسلام قد دل على معنى التسامح الليبرالي، فإنه يستدل بمثل قوله: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]، وقوله: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢]، وقوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: ٤٥]، ونحوها.

ووجه استدلالهم أن التدخل والإنكار نوع من الإكراه، وكذلك معاقبة المرتد عن الإسلام، وهو يتنافى مع ما سبق، مما يؤكد اتفاق الإسلام مع التسامح الليبرالي!

وهذا الاستدلال ظاهر البطلان، لا يمكن لعاقل يعلم لسان العرب ويعلم الإسلام أن يستنبط مثل هذا الحكم من هذه الأدلة؛ إذ إنها إنما تدل على نفي أن يكره غير المسلم على الدخول في الإسلام.

أما قوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]، فمعناه: أن دينكم يخالف ديني لا أنه يُقِرُّهم على دينهم؛ كمثل قوله: ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

وقد بدأت السورة بقوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١]، فهو يحكم عليهم بالكفر.

أما قوله: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].



فهل يقول عاقل إنه تخيير؟! ليس تخييرًا بل هو أعظم ما يكون من طرق النهي

كما في قوله: ﴿ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤]، فهو أمر للإنكار، وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].



وهذه الآية إنما هي إرشاد للنبي الكريم ﷺ أنه ليس عليه هداهم، وإنما عليه أن يقول الحق من ربه، وبعد ذلك لا يضره كفر الكافر وإعراض المعرض..

كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

فقوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، بمعنى أنه لا يُكْرَهُ على الدخول في الإسلام، والإيمان أصله في القلب، فلا يمكن لأحد أن يكره أحدًا على الإيمان، وإنما يمكنه أن يجبره على إظهاره، وحينها لا يكون الإيمان مقبولاً، فكما أنه لا يكفر العبد إذا كان مُكرهًا وقلبه مطمئنٌ بالإيمان؛ فكذلك لا يكون مؤمنًا وإن أظهر الإيمان حتى يطمئن قلبه بالإيمان.



والمرتد إنما يُعاقب على ردته وقد دخل في الإسلام راغبًا، وهذا الإسلام له شريعة وأحكام تطبق إذا حصلت أسبابها وتوفرت شروطها وانتفت موانعها، وكان عليه أن يلتزم بشريعته، فكما أن الزنى، والقذف، والسرقة، وشرب الخمر ونحوها لها عقوبة، فكذلك الردة.

(وسنفصل إن شاء الله في المقال الثاني جملة مما استُدِلَ به على حرية نشر الأفكار حتى وإن كانت إلحادًا).

وما تقدم لا يتعارض مع رحمة الإسلام وعدله؛ إذ قد شرع الله في حق الكافر أحكامًا توافق ذلك العدل، وتلك الرحمة، من ذلك:

← أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالقسط والعدل معهم..

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

← ويَحرُم إكراه أحدًا من الكفار الأصليين على الدخول في الإسلام..

قال تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولذلك عُصمت دماء شعوب حكمها الإسلام من قرون، بل منذ زمن الفتوح مع بقاء بعض تلك الشعوب على أديانهم، مع دفعهم للجزية.

والجزية هي مالٌ يقدِّره الحاكمُ المسلم يفرضه على غير المسلمين الذين يعيشون في بلاد المسلمين، ولا يكون فيه إضرارٌ وإجحافٌ بهم.

والمقصود بالجزية أن تكون دليلاً على رضوخهم لحكم الإسلام، وهذا هو الصَّغَار الذي أوجبه الله تعالى على دافعي الجزية في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

والجزية لم تُضرب على أهل الذمّة إضرارًا بهم، فإنها لا تؤخذ أصلاً من صبيّ ولا امرأةٍ ولا مجنون، ولا تؤخذ الجزية من الفقير، بل إن الفقير من أهل الذمة يُرزق من بيت مال المسلمين، ولا تؤخذ الجزية من شيخ فانٍ ولا زَمِنٍ أعمى ولا مريضٍ لا يُرجَى بُرؤه، وإن كانوا جميعًا أغنياء، ولا تؤخذ الجزية من الرُهبان المنقطعين للعبادة، ولا تؤخذ من الفلاحين الذين لا يُقاتلون.

← وكذلك لأهل الذمة التنقل في أي البلاد شاؤوا دون استثناء إلا الحرم..

ولهم سكنى أي بلد شاؤوا من بلاد الإسلام أو غيرها حاشا جزيرة العرب.

← وكذلك قد فقد أمرنا الله بحفظ العهد بيننا وبين الكفّار، إذا وفَّوا بعهدهم وذمتهم..

قال تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

حرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين إذا وفَّوا بذمتهم وعهدهم..

فعَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».

قال ابن حزم: في (مراتب الإجماع): "واتفقوا أن دم الذمي الذي لم ينقض شيئًا من ذمته حرام".

وفي شريعة الإسلام لا تلازم بين الكفر والقتل، فينهى الإسلام عن قتل بعض الكفار كالمعاهد والذمي والمُسْتَأْمَن، كما يأمر بقتل بعض المسلمين كـ(الثيب الزاني، والنفس بالنفس، وحد الحرابة).

وللإمام ابن تيمية رحمه الله رسالة قيمة في أن قتال الكفار ليس لكفرهم، وإنما لمحاربتهم المسلمين.

الوصية بأهل الذمة، وصيانة عرضهم وأموالهم.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا...» أخرجه مسلم.

وقال عمر ﷺ: "أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي... وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ" أخرجه البخاري.

قال القرافي في (الفروق): "عَقْدُ الذِّمَّةِ يُوجِبُ حُقُوقًا عَلَيْنَا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ فِي جِوَارِنَا وَفِي خَفَارَتِنَا وَذِمَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَدِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِمْ وَلَوْ بِكَلِمَةِ سُوءٍ أَوْ غِيبَةٍ فِي عِرْضِ أَحَدِهِمْ أَوْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذِيَّةِ أَوْ أَعَانَ عَلَى ذَلِكَ = فَقَدْ ضَيَّعَ ذِمَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَذِمَّةَ دِينِ الْإِسْلَامِ).

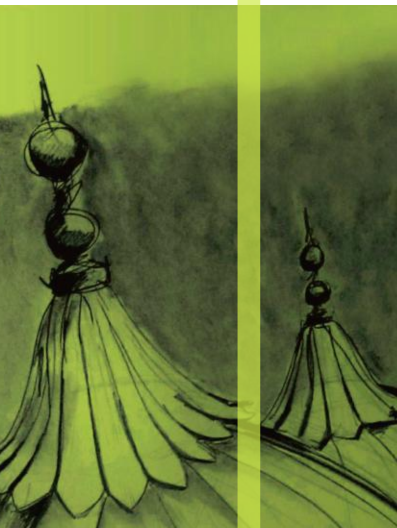
والاختلاف في الدين لا يلغي حق ذوي القربى..

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ" متفق عليه.

وكذلك الأمر بالبر والإحسان في حق كل من لم يقاتل المسلمين أو لم يظاهر على قتالهم..

قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩-٨].



فكل رفق أو لطف لا يُفهم منه علو الكافر على المسلم، أو إقرار المسلم للكافر على كفره = يدخل في البر المشروع، وكل ما يخالف ذلك فهو منهي عنه.



ومما تقدم:

فإنه لا يجوز استعمال لفظ التسامح ونسبته إلى الإسلام، إلا بتفصيل دلالته في الشرع إذا خُشي أن يُظن موافقتُه "للتسامح الليبرالي"، فإنه قد صار من الألفاظ المجملة التي تستعمل في أكثر من دلالة، فلذلك قبل الحكم عليه لابد من الاستفصال عن مراد المتكلم.

والألفاظ التي استعملت في الشرع هي (العدل، القسط، البر، الإحسان، الوفاء بالعهد) ونحوها.

والدول الغربية المتبنية لهذه المُثُل (كالحرية، والتسامح، والتعددية) وهكذا، لا تطبقها، وما يلاقيه المسلمون في بلادهم من التضييق خير شاهد على ذلك.

أما سياستهم مع الشعوب المسلمة من التدخل في شئونهم واحتلال أراضيهم، وقتل وتشريد المسلمين ونهب خيراتهم، كما هو الحال في أفغانستان والعراق وفلسطين ومالي وغيرها = خير شاهد على هذا.

ولا زال كثير من عامة المسلمين بل من المفكرين - إلى الآن - يزعم أن تلك الدول راعية التسامح وحقوق الإنسان!

إن هذا التسامح العلماني المزعوم يُبطل أعظم مقصدٍ لبعثة الرسل الكرام، الذين جاءوا..

(يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون الناس إلى إخلاص العبادة، وإلى مكارم الأخلاق، ويسعون في الإصلاح).

وهذا التسامح الليبرالي إنما أنشئ كرد فعل للتطرف واضطهاد الكنيسة، ولا مبرر له في الإسلام.

كما أنه لا يمكن أن يُطبق، فإن اعتقاد المرء أنه على حق في مسألةٍ ما، وأن من خالفه على باطل، واعتقاد المخالِف في نفسه أنه هو الذي على الحق = لا بُدَّ أن يُحدث بين الاثنين تفاصُلاً وعدم التقاء، بقدر أهميّة المسألة المختَلَفِ فيها، ولن يزول هذا التَّفَاصُل إلا بهلاك المختلفَيْن أو احدهما، أو بأن يتبع أحدهما الآخر ويترك ما كان عليه.





التسامح الليبرالي

ومن الملاحظ أن التسامح الليبرالي قائم على مرتكزات المنفعة، وهو ما يجعل التسامح مصلحة وليس قيمة عليا أو فضيلة؛ فالتسامح جيد بقدر ما يحقق للأطراف المختلفة مصالحها، ويصبح التسامح من ثَم أداة تستخدم لتحقيق أغراض محددة على المستوى الداخلي والدولي.

فالولايات المتحدة الأمريكية - مثلاً - تتخذ التسامح أداة ضغط على المجتمعات العقدية بهدف تفكيك الالتزام العقدي فيها، بإثارة الحاجة إلى التسامح مع الأقليات أو غيرهم.

وهو ما يعني أن التسامح والدعوة إليه وإلى التعددية والديمقراطية لا تنبع من التزام أخلاقي بأهمية هذه المصطلحات - كما يراها صانع القرار السياسي الأمريكي - بل هي وسيلة لإحداث خلخلة في البُنى السياسية والاجتماعية...

بهدف خلق (فوضى)
تتيح للولايات المتحدة الأمريكية
فرصة التدخل في شؤون غيرها من البلاد

بحجة حماية التسامح أو التعددية أو حرية العقيدة، أو لضمان إذعان المجتمعات الأخرى لرؤية الولايات المتحدة النابعة من المصلحة.

ومن ثم فإن المتابع لواقع سياسات أمريكا (التدخلية) في شؤون الدول الأخرى؛ كالعراق، وأفغانستان، والصومال، والسودان وغيرها = يدرك بالضرورة **أن السياسات الأمريكية لا تنبع من أي قيمة أخلاقية، وإنما تنبع من المصالح المرتبطة بالهيمنة (وفرض الذات على الآخرين.**

قال (الطيب بو عزة): "فالرؤية الليبرالية للاجتماع تتأسس على منظور فرداني يتقصد الربح المادي والمنفعة الشخصية؛ وبذلك فهي عاجزة عن تبرير ذاتها بوصفها فلسفة تتقصد بناء الحياة المجتمعية، لاحتياج هذه الحياة - لا بد - إلى الأساس الأخلاقي المتعالي على المصلحة الفردانية، ليكون أساسًا شراطًا لها لا مشروطًا بها".

وبكلمة:

إن الخطاب الليبرالي العربي الإسلامي لم يجعل دينَ الإسلام هو الأصل ويأخذ من الليبرالية أو من غيرها ما يوافق أو لا يعارض الإسلام؛ بل هو - بالأحرى - جعل الليبراليةَ أساسَه ومرتكزه، وأخذ من الإسلام ما ظن/ أو ما زعم أنه موافق لمبادئ الليبرالية، فأراد صُنعَ وتفصيل "إسلام" على مقاس الليبرالية..

أو أنه - وهذا هو الواقع - إنما قام بأسلمة الأفكار الليبرالية..
لِيُرَوِّجَهَا
في المجتمع المسلم.



انتهى